الفصل الأول: سياسة القوى الناعمة.

المبحث الأول: حتشبسوت وحكم مصر

المبحث الثاني: كليوباترا بين الأنوثة والسياسة

المبحث الثالث: شجرة الدر من الرق.....إلى الحكم

المبحث الرابع: زنوبيا ملكة تدمر

المبحث الأول: حتشبسوت وحكم مصر

حتشبسوت لطالما سمعنا هذا الاسم، ولطالما نسأل أنفسنا ماذا فعلت هذه السيدة؛ لكي تُخلِّد اسمها في التاريخ، فيا ترى من هي؟!

هي إحدى ملكات الأسرة الثامنة عشر[1]، وهي أول سيدة حكمت البلاد مدة طويلة، وهي أشهر نساء مصر القديمة، وأشهر الملكات اللاتي يعرفهن التاريخ القديم وأحد الحكام العظام الذين بنوا مجد مصر، تميزت بنشاطها وذكائها وقوة شخصيتها وسعة حيلتها، وهي لم تستخدم سلاحها طوال مدة حكمها ولم تحمل سيفًا[2] إلا في حملة واحد تأديبية قد أرسلتها إلى بلاد النوبة[3]؛ وذلك للقضاء على الاضطرابات والعبث بالدولة المصرية في الجنوب[4]، ولكنها في نفس الوقت كانت تمسك بزمام الموقف في أحرج اللحظات دون أن يكون لها سلاح سوى العزيمة الصادقة والحيلة الواسعة والأنوثة الذكية، وسيرة حياتها وآثارها وتماثيلها تنطق بالعظمة وقوة شخصيتها، ولقد وصفتها نصوص معبد الدير البحري[5] وصفاً شعرياً رائعاً حين سجلت قصة مولدها[6] إذ يقول النص: لقد كانت جميلةً

(1) الأسرة الثامنة عشر المصرية: هي احدي الأسرات المصرية التي حكمت مصر في الفترة (1580- 1320ق.م) ويعتبر المؤرخين أن أحمس الأول هو مؤسس هذه الأسرة وملوك هذه الأسرة هم " أحمس الأول "(1558-1580ق.م) و"تحتمس الأول "(1520-1530ق.م) و "تحتمس الثاني"(1520-1505 ق.م) و "حتشبسوت " و" تحتمس الثالث" (1504- 1450 ق.م) و" أمنحتب الثاني" (1450- 1425ق.م) و " تحتمس الرابع" (1425-1408 ق.م) و" أمنحتب الثالث" (1408- 1372ق.م) و "أمنحتب الرابع" (1354-1372ق.م) و "توت عنخ آمون" وأخيرا "حور محب". راجع. جان فير كوتير: مصر القديمة , ت: ماهر جويجاتي , دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع , القاهرة 1992م , ص 107- 121.

(2) عبدالعزيز صالح وآخرون: موسوعة مصر عبر العصور "تاريخ مصر القديمة ", الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة1997م, ص196. أسهمت بعض كبريات الأميرات المصريات في مجريات الحكم والسياسة فنجحن حينا وفشلن أحيانا وبلغن العرش أو ورثن العرش ومنهم خمس أميرات هم("خنت كاوس" وكانت في نهاية الأسرة الرابعة و "نيت إقرتى " وكانت في الأسرة السادسة و" سوبك نفرو رع" وكانت في نهاية الأسرة الثانية عشرة و"حتشبسوت " التي كانت في منتصف الأسرة الثامنة عشر و" تاوسرة" في نهاية الأسرة العشرين) , وفشلت أغلب تجارب هذه الأميرات أو الملكات في سياسة أمور الدولة، عدا الملكة حتشبسوت التي أحبت أن يتم تصويرها في سمات الرجال واتصفت بعزائمهم وسيطرت علي العرش اثنين وعشرين عاما , منها تسعة مشتركة وثلاثة عشر أخري منفردة. راجع. عبد العزيز صالح: الأسرة المصرية في عصورها القديمة , الهيئة المصرية العامة للكتاب , القاهرة 1988م , ص 143.

(3) بلاد النوبة: تقع بلاد النوبة جنوب مصر وعاصمتها مدينة دنقلة ,كانت قليلة الخير لأن أرضها الزراعية قليلة الخصوبة ,وكانت سابقا تعتبر أسوان أول مدنها. راجع: البكري الأندلسي: المسالك والممالك,ج2, دار الغرب الإسلامي, 1992م, ص619؛ شهاب الدين القرشي: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار, ج4, دار المجمع الثقافي ,أبو ظبي1423هـ ,ص99.

4() زكية يوسف طبوزادة: تاريخ مصر القديم"من أفول الدولة الوسطى إلى نهاية الأسرات,(ب.ت),القاهرة 2008م, ص60.

(5) معبد الدير البحرى : شيدته الملكة "حتشبسوت " لتؤدي فيه الطقوس التي تفيدها في العالم الآخر وبذلك يعتبر معبد الدير معبد جنائزي، أما أسم الدير البحري فهو أسم عربي أطلق علي هذا المعبد في القرن السابع الميلادي لأن الأقباط استخدموا هذا المعبد كدير لهم، ويتكون هذا المعبد من ثلاثة مدرجات متصاعدة يقسمها طريق صاعد. راجع. علي محمود العبادي: نشأة المدن المصرية علي ضفاف النيل , دار الكتب المصرية , القاهرة 2008م, ص 37.

(2)MATTHEWS Victor h. and BENJAMIN Don c. , old testament parallels"laws and stories from the ancient near east" , paulist press , usa1997,pp52-54.

جمالًا فريدًا، لقد كان النظر إليها أمتع من النظر إلى أي شيء آ خر، لقد كانت في صورة قديسة وقد كانت تتصرف كالآلهة، ولها روعة الآلهة وبهاؤهم[1].

1() عبد العزيز صالح وأخرون: المرجع السابق ص196. ؛ وذلك من قبل الأسطورة حيث عرف كارل كيريني الأسطورة بقولة " إن الأسطورة في المجتمع البدائي أي شكل المعاش وأنها ليست مجرد حكاية تحكي ولكنها حقيقة معاشة وإنها ليست اختراعا ولكنها حقيقة حية يعتقد أنها حدثت في أزمان أولية وأنها لازالت تمارس تأثيرها علي العالم وعلي مصائر البشر. راجع. كارم عزيز: أساطير العالم القديم , مكتبة النافذة , الجيزة 2007م , ص20.

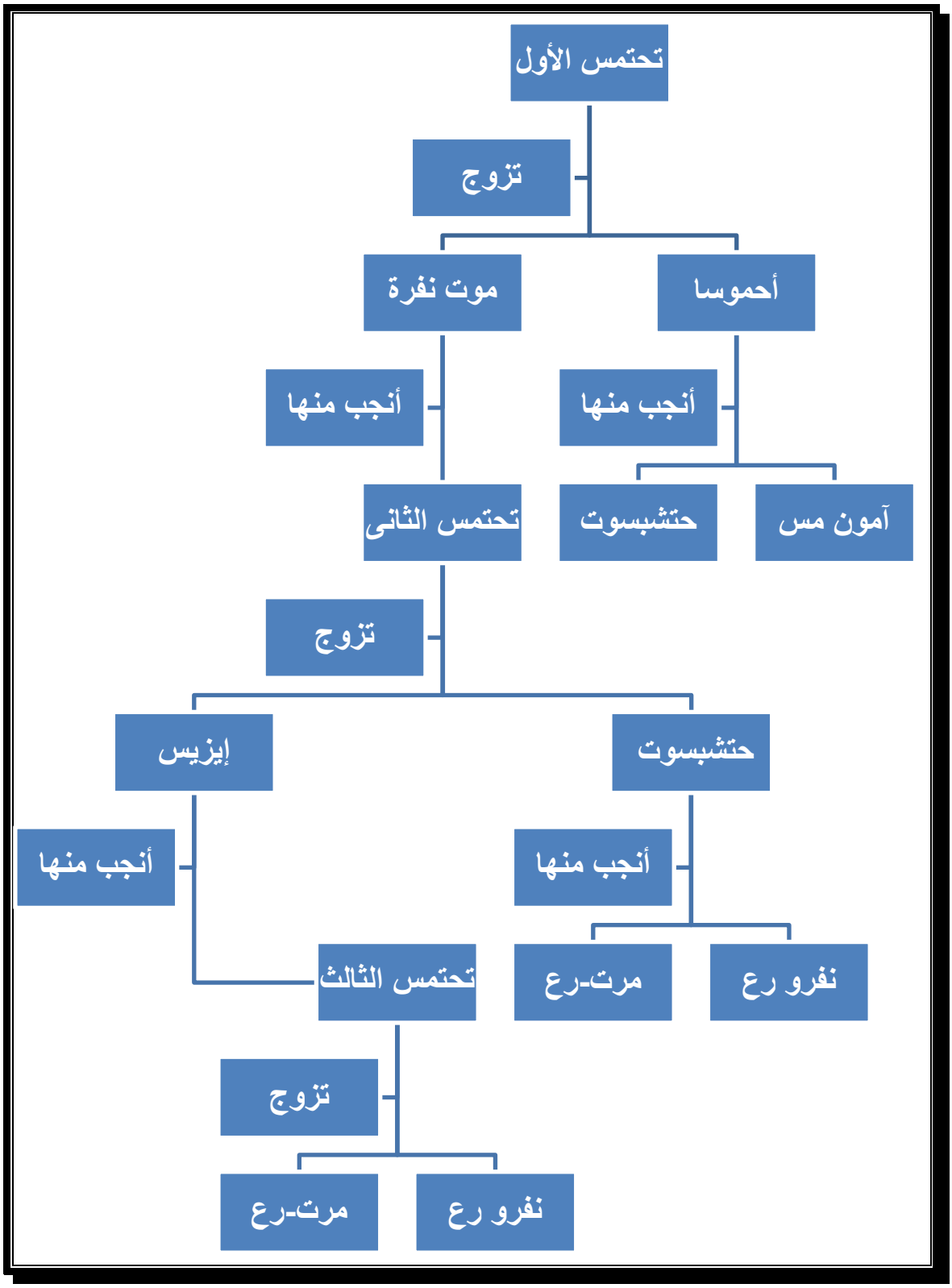

شجرة أنساب الملكة حتشبسوت

تطلُّعُ حتشبسوت للسلطة:

كان "تحتمس الأول" [1] قد تزوج من أميرة ذات دم ملكي هي "أحموسا" أنجب منها ولدين هما "آمون مس" و "واج مس"، وبنتين "بيت نفرد" و "حتشبسوت" ماتوا جميعاً عدا الأخيرة [2]، وكانت له زوجة ثانية وهي "موت نفر" أنجب منها "تحتمس الثاني" [3] الذي اشترك مع "حتشبسوت" ليصبح ملكاً شرعياً[4].

كان "تحتمس الثاني" حاكماً جيداً، أبلى بلاءً حسناً في المعارك الحربية، وفى الدفاع عن الحدود، [5] ولكن كانت زوجته أكثر حنكة وخبرة منه في إدارة شئون البلاط[6]، ويعتقد هيس أن تحتمس الثاني قد أشرك ابنه تحتمس الثالث معه في الحكم عدة سنوات قضاها كلها في الجيش، حيث كان يتمرن على حمل السلاح والقتال؛ لأن أباه كان يؤهله منذ صغره على أن يكون محارباً من الطراز الأول مثل جده تحتمس الأول[7]، وقد أصيب تحتمس الثاني بالمرض وهو ما زال في ريعان شبابه[8]، وتوفي إثر مرضه على الأرجح[9] وهنا نتساءل، هل فعلًا توفي تحتمس الثاني إثر مرضه أم أنّ لنهايته واقع آخر؟ حيث أنه يرى بعض العلماء أن كل الأمور تشير إلى أنّه توفي مقتولاً[10].

---

(1) تحتمس الأول: خلف "أمنحتب الأول " علي عرش مصـر وقد توج في عام (1535ق.م) وقد تميز تحتمس الأول بأن له بنية قوية حيت كان طويل القامة عريض المنكبين متين البنية قادرا علي أهوال الحروب وقد صـورته التماثيل بوجه ممتلئ مسـتدير وأنف طويل وذقن مربعة وشـفتين تميلان إلى الغلظة، وذكر جلال يحيى بأن الملك تحتمس الأول قد افتخر بأنه فتح الأقاليم التى جهلها أجداده، ووصف وصوله إلى نهر الفرات أنه اكتشاف لم يصل إليه ملك من قبل. سليم حسن: موسوعة مصر القديمة " عهد الهكسوس وتأسيس الإمبراطورية" , ج4, مكتبة الأسرة, القاهرة , 2001م , ص 253-255؛ جلال يحيى: التاريخ الأوروبى الحديث والمعاصر "سيطرة أوروبا على العالم",ج4, المكتب الجامعى الحديث, الإسكندرية ,ب ت,ص27.

(2) JORDAN Shirley j. , hayshepsut first female pharaoh , teacher created materials , usa2007 , p6.

(3) تحتمس الثاني: هو أحد حكام الأسرة الثامنة عشر , تولي الحكم بعد وفاة والدة " تحتمس الأول " وكان معتل الصحة ضعيف الشخصية تولي الحكم بسب الظروف التي كانت تحيط بالبلاد وكانت فترة حكمة (1490-1510 ق.م).راجع. عبد العزيز صالح وآخرون: المرجع السابق, ص193-194.

4() عبدالعزيز صالح وأخرون: المرجع السابق, ص196-197.

(5) المعارك التى خاضـــها تحتمس الثانى: بمجرد أن جلس الملك تحتمس الثاني علي كرســـي العرش لم تصـــفو له الأمور ووقع عليه عبء كبير في الحفاظ علي أركان الدولة فقد أنتهز أهل بلاد النوبة فرصـة وفاة والدة وقاموا بإعلان ثورة ضـده ولكن أسـتطاع بحنكته السـياسـية أن يقضـى علي هذه الثورة ولكن لم تقف المصـاعب عند ذلك الحد بل أيضـا كان عليه أن يؤمن حدود بلادة من غارات البدو المتلاحقة المتمثلة في غارات بدو شـبه جزيرة سيناء وأيضا بدو الصحراء السورية ,وبعدما قضي علي هؤلاء أرسل حملة إلى الشوسو.راجع.ج.شتيندورف –ك.سيل: عندما حكمت مصر الشرق ,ت: محمد العزب موسي , مكتبة مدبولى , القاهرة 1990م , ص 60. .

6() كارلو ريو ردا: التاريخ المصور لمصر القديمة, ترجمة: إبتسام محمد عبد المجيد, الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة 2009م, ص45.

7() زكية يوسف طبوزادة: المرجع السابق,ص57.

8() كارلو ريو ردا: المرجع السابق,ص45.

9() نيقولا جريمال: المرجع السابق,ص264.

10() رمضان السيد: تاريخ مصر القديمة" منذ بداية الأسرة الخامسة عشرة حتى دخول الإسكندر الأكبر مصر عام 332ق.م",ج2, د.ن,د.ت,ص66.

قصة الوحي وتحتمس الثالث وموقف حتشبسوت

تذكر قصة الوحى المنقوشة بمعبد الكرنك[1]، كيف تولى تحتمس الثالث[2] العرش، حيث جاء فيه أن تحتمس الثالث لم يكن إلا خادمًا بسيطًا يعمل في معبد آمون [3] بالكرنك، وفى يوم من الأيام كان آمون يقوم بجولة في صالة الأعمدة وتوقف أمام الأمير الصغير الذي خرَّ على الأرض ساجدًا، فرفعه آمون من سجوده، ووضعه على العرش وكان ذلك بحضور والده ومعنى هذا أن تحتمس الثالث عين ملكاً بالوحى الإلهي، [٥]وعندما علمت حتشبسوت بهذه الحادثة غضبت غضباً شديداً، وأدرك النبلاء الذين يساندونها أن المخرج الوحيد من هذا المأزق هو إعلانها ملكة على البلاد قبل أن ينجح تحتمس الثالث في تقوية مركزه كوريث شرعي للبلاد، [4] وفجأة توفى الملك تحتمس الثاني وهو في سن الأربعين تقريبًا، [5] فهل للملكة حتشبسوت يدٌ في وفاة زوجها الملك تحتمس الثاني؟

حتشبسوت وصية على العرش بسياستها الناعمة:

بعد موت "تحتمس الثاني" بدأ صراع رهيب على العرش بين "حتشبسوت" وأمير ملكي صغير السن في السادسة عشر من عمره هو الذي عرف فيما بعد باسم تحتمس الثالث، [6]وقد كانت حتشبسوت أنثى ناضجة ذات الدماء الملكية، يعاونها مجموعة من كبار الموظفين والكهنة، وأنها قامت بنسج قصة الولادة الإلهية، [7]حيث أنها لم تغفل الناحية

(1) معبد الكرنك: هو عبارة عن مجموعة من المعابد لمجموعة من الآلهة وهو أكبر مجمع معابد علي وجه الأرض بداء تشـــيده في عصـــر الدولة الوسطي وانتهي العمل منة في حكم البطالمة وبذلك يعتبر نتاج عمل مشترك بين مجموعة من حكام مصر أما بالنسبة لمسمي الكرنك فهناك اختلاف في هذه التســـمية فيري البعض أن كلمة الكرنك أصـــلها عربي ويري الدكتور أحمد فخري أن أســـم الكرنك ترجع تســـميته إلى القرية القريبة من المعبد والمعروفة بنفس الاسم ويحتوى المعبد علي 10 صروح لمعبد الآله "آمون رع " ولم يحتوى المعبد علي صروح لآله آمون فقط بل كانت هناك صروح أخري مثل "خنسو – أبت – بتاح- آتون " وأحيطت كل هذه المعابد والمقاصـير بسـور كبير من الطوب اللبن يصـل سـمكة إلى حوالي 12متر ويصـل طوله إلى 550 متر وعرضـه إلى 480متر وارتفاعه 20متر , وأشـهر معالم معبد الكرنك طريق الكباش ويتكون من صـفين من التماثيل كلا منها برأس كبش وجسم أسد. لمزيد من التفاصـيل أنظر: سمير أديب: موسـوعة الحضـارة المصـرية القديمة , دار العربي للنشـر والتوزيع , القاهرة 2000م , ص 675- 679.

(2) تحتمس الثالث: حكم مصر أكثر من 50 عام ، ووجد علي أحد جدران معبد الكرنك أن أخبار حروبة أستمرت 20عام حطم خلالها مدنا وممالك في غرب آسـيا ثم كون إمبراطورية ثابتة الأركان , وقد بني "تحتمس الثالث" أول أسـطول حربي كبير مكنة من بسـط نفوذه علي بحر إيجة. راجع. جيمس هنري بريستد: انتصـار الحضـارة " تاريخ الشرق القديم" , ترجمة: أحمد فخري , المركز للترجمة , القاهرة 2011م, ص129.

(3) الإله آمون: يعني ذو الاسم الخفي , يعتبر هو أله الخصـوبة وكان يعبد في طيبة وكان يمثل غالبا برأس كبش ذو قرنين وكان أيضـا يصـور بأشـكال أخري مثل شـكل ثعبان , وكان المصـريين القدماء يعتقدون أنه سـاهم في خلق العالم لذلك صـوروه في بعض الأحيان علي شـكل إوزة وكان من ضـمن الثالوث المقدس الذي يضـــم "موت – خونســـو – آمون ". راجع: روبير جاك تيبو: موســـوعة الأســـاطير والرموز الفرعونية , ترجمة: فاطمة عبدالله محمود , المجلس الأعلي للثقافة , القاهرة 2004م , ص47.

(1) ROBERTS Irene , Hatshepsut the feminine pharaoh , iuniverse , usa2003 , p9.

5() رمضان السيد: المرجع السابق, ص66.

6() عبدالعزيز صالح و أخرون: المرجع السابق,ص197.

7() يرجح بعض المؤرخين أن علماء الدين في مصر القديمة كانوا يعتقدون في إمكانية حلول الآلهة في الأجسام البشرية حيث كانوا يتصورون عالما روحانيا مجرد من الأجسام ويعتقدون أن الروح لابد لها من جثمان تحل فيه حتى أنه عند الموت لا تفارق الجسم إلا وتعود سريعا إلية. راجع: محمد أبو

النفسية؛ لتقنع عامة الشعب بأحقيتها بالحكم؛ لذا لجأت إلى حيلة سياسية في غاية من الذكاء استغلت، مثل ملوك الأسرة الخامسة[1] الدين، و على جدران معبدها المعروف باسم الدير البحري روت في قصتها في صور منقوشة أنها ابنة الإله آمون رع نفسه، حيث تقمص الإله جسد أبيها تحتمس الأول حين اجتمع مع أمها الملكة أحمسا ومن هذا الزواج ولدت حتشبسوت وتلقتها الآلهة مبشرة بمولد طفلة نصف إلهية؛ فاكتسبت بذلك تأييد الجميع، فابنه آمون أحق بوراثة العرش من طفل صغير[2] رُزق به الملك من الفتاة إيزيس[3].

ومن هنا؛ يتضح لنا أنَّ حتشبسوت استخدمت الدين كوسيلة للوصول إلى أهدافها، وعن طريق سياستها الناعمة مع الكهنة، وإغدافها الأموال عليهم جعلتهم يُروِّجون لقصة الولاة الإلهية، وجعلتهم في صفِّها، واستغلت انعدام الوعي السياسي عند المصريين، وتدينهم الأعمى الذي عطل العقل عن التفكير والتدبُّر والنظر فيما وراء الأحداث، وقد ساعدها في بلوغ أهدافها وجود أصحاب الأطماع والمصالح المتمثلين في النبلاء والكهنة.

تبعًا للعادة؛ فإن الرجال عادة ما يتولون الحكم إلا أنه كان لا يزال طفلًا صغيرًا دماء نصف ملكية من جهة أبيه، [4] ويزعم تحتمس الثالث أن تحتمس الثاني أوصى بالعرش له كما يؤيده كهنة آمون، ودبرت له حادثة الوحى السابق ذكرها، [5] على أية حال فقد كان تحتمس الثالث في ذلك الوقت أصغر من أن يتولى مقاليد الحكم، ومن هنا تسلمت زوجة أبيه حتشبسوت الوصاية عليه، [6] وقد وصلنا وصف لهذه الوصاية على لسان "أنيني" أحد

زهرة: مقارنات الأديان " الديانات القديمة " , دار الفكر العربي , بيروت 1965م , ص 15. فقد قال المؤرخ اليوناني "هيردوت": " إن المصريين هم أول الشعوب التي اعتقدت بخلود النفس" . محمد على سعد الله: فى تاريخ مصر القديمة , مركز الإسكندرية للكتاب, الإسكندرية2001,ص251؛ يسر محمد سعيد مبيض: اليوم الآخر في الأديان السماوية والديانات القديمة , دار الثقافة , الدوحة 1992م, ص 29.

(1) الأسرة الخامسة: هي أحدي الأسرات المصرية التي حكمت مصر في عصر الدولة القديمة وكانت فترة حكمها تقريبا (2420-2650ق.م) وأشهر ملوكها هم "ساحورع –نيوسر رع "وكان عهد هذه الأسرة عهد ازدهار في بداية أمرها إلى أن ضعفت هذه الأسرة فيما بعد وتركت المجال للكهنة الذين زاد نفوذهم في هليوبوليس، وهذا التقسيم وفقا لتقسم مانيتون السمنودى الذي قسم الأسرات المصرية إلى 31 أسرة ملكية تبدأ من مينا وتنتهي بالإسكندر الأكبر بتتابع في وادي النيل ولتسهيل ذلك التقسيم جرت العادة إلى تقسيم هذه الأسر إلى عصور أو دول وأهم هذه الدول هي ثلاث هي " الدولة القديمة – الدولة الوسطي – الدولة الحديثة" .راجع. أدولف إرمان: ديانة مصر القديمة "نشأتها وتطورها ونهايتها في أربعة آلاف سنة", ترجمة: عبد المنعم أبو بكر –محمد أنور شكري , مكتبة مدبولى , القاهرة 1995م, ص11؛رندل كلارك: الرمز والأسطورة في مصر القديمة , ترجمة: أحمد صليحة , الهيئة المصرية العامة للكتاب , القاهرة 1988م,ص12؛ استيندرف: ديانة قدماء المصريين , ترجمة: سليم حسن , دار البستاني للنشر والتوزيع , القاهرة 2001م , ص3-4.

2() زكية يوسف طبوزادة: المرجع السابق ,ص58.

(2) ROEHRIG Catharine h. and others , Hatshepsut from queen to pharaoh , metropolitan museum of art , usa2005 , p87.

4() محمد على سعدالله: المرجع السابق، ص251.

5()عبدالعزيز صالح وأخرون: المرجع السابق, ص197.

(5) ROEHRIG Catharine h. , Hatshepsut from queen to pharaoh , metropolitan museum of art , usa2005 , p96.

كبار الموظفين المشرف على مخازن غلال آمون، وشغل هذا المنصب منذ عهد "أمنحتب الأول" وحتى عهد "تحتمس الثالث"، وورد هذا الوصف في سياق سرده لسيرته الذاتية التي نقشها على لوح وضعه تحت باكية مقبرته الصخرية بمنطقة شيخ عبده القرنة(TT81)، [1] وأخذت هذه الوصاية تتحول شيئاً فشيئاً إلى حكم حقيقي[2].

انفراد حتشبسوت بالحكم:

تولى تحتمس الثالث بعد وفاة أبيه العرش، ولكن حتشبسوت كانت هي التي تدير شئون مصر كوصية، [3] ويحتمل أيضًا أن يكون ذلك هو الوقت الذي تزوّج فيه بأخته نصف الشقيقة ابنة تحتمس الثاني والملكة حتشبسوت الأميرة نفرو رع؛ لكي يصبح توليته للعرش بالصبغة اللاشرعية؛ لكي يقوم بتقوية حقوقه في العرش، وقد اعترضت الملكة حتشبسوت على هذا الزواج في بداية الأمر، ولكنها وافقت بعد ذلك ويعتقد أن الملكة أحمسا زوجة الملك تحتمس الأول وأم الملكة حتشبسوت هي السبب في تغيير موقف حتشبسوت من هذا الزواج، حيث أنها كانت ما زالت على قيد الحياة، وكانت تبلغ من العمر ستين عاماً، وكانت تحتفظ بجمالها على الرغم من كبر سنها، وكان لموافقة حتشبسوت على هذا الزواج سبباً آخراً، وهو أنها لم تُرزق بأولاد ذكور؛ لكي يخلفوها في الحكم فكانت تأمل أن يصبح لها حفيد صغير من ابنتها يرث العرش من بعدها[4].

كانت في بداية وصاية حتشبسوت على تحتمس الثالث يظهر اسمه في النصوص الرسمية مباشرة بعد اسم عمته، وكانت الملكة تمثل خلف صورتها صورة الملك الشاب تحتمس الثالث، وكان هذا الملك الشاب يؤدى دوراً ثانوياً؛ لأن السلطة الفعلية كانت في يد الملكة حتشبسوت، [5] استمرت مشاركة تحتمس الثالث لعمته في الحكم عدة أعوام إلى أن اختفى ذكره فجأة، وظل هذا الأمر مدعاة للتعجب، ومثاراً للدهشة لما ظهر عليه تحتمس الثالث فيما بعد من قوة شخصية وإرادة، ولكن في ذلك الوقت قد شجع استسلامه لوصاية عمته بعض الباحثين على الاعتقاد بأن الملكة سجنته، إلا أن موقف وصاية

1() نيقولا جريمال: المرجع السابق, ص265.
2() رمضان السيد: المرجع السابق,ص67.
3()عبد العزيز صالح وأخرون: المرجع السابق ,ص200 ؛زكية يوسف طبوزادة: المرجع السابق, ص56.
4() رمضان السيد: المرجع السابق, ص68.
5() رمضان السيد: المرجع السابق ,ص68 ؛ زكية يوسف طبوزادة: المرجع السابق, ص56.

واغتصاب حتشبسوت للعرش، وتوارى تحتمس مدة طويلة من على مسرح الأحداث ما زال غامضاً ويعتقد دريونتون وفانييه أن وراءه هدف أساسي معين أبطاله كهنة آمون[1].

في لحظة ما نرى أن موقف كهنة آمون هذه الفترة بدأ يتغير وهم الذين كانوا يساعدون تحتمس الثالث في البداية، ويتحول كبير كهنة آمون إلى أحد المخلصين والمواليين للملكة حتشبسوت، [2] ويعتقد أن سبب تغيرهم هذا أنهم رأوا أن مساندتهم للملكة حتشبسوت تعود عليهم بالنفع أكثر مما لو وقفوا إلى جانب هذا الطفل الصغير، فتخلوا عنه وأيدوا عمته الملكة حتشبسوت، [3] في الأيام الأولى من العام التاسع من حكمها أي تقريباً عام (1494 ق.م) نجد أن النبلاء الذين كانوا يحيطون بالملكة يأخذون بزمام الأمور، وأعلنوا حتشبسوت ملكاً تحت اسم "ماعنت مارع-حتشبسوت"[4] وحكمت بمفردها أكثر من عشرون عاماً[5].

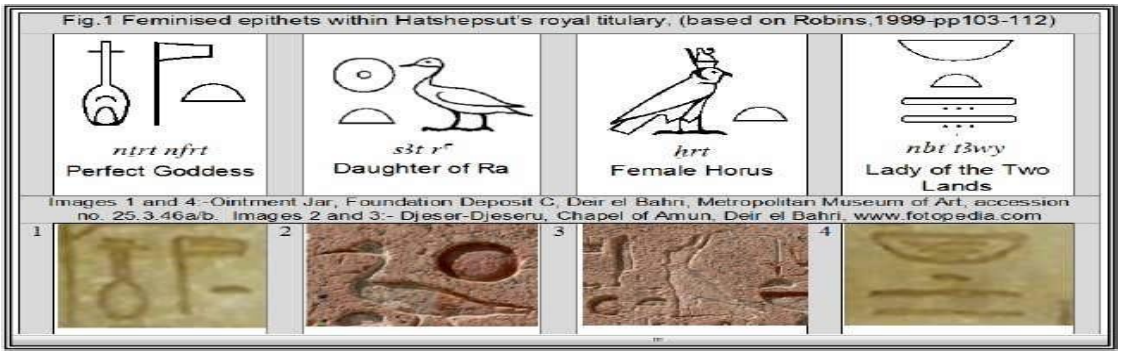

قامت حتشبسوت بتقليد الموظفين المخلصين والنبلاء الذين ساعدوها أعلى المناصب في الدولة، [6] حتى تستطيع أن تخلع على نفسها الألقاب الخمسة كاملة، مثل أي ملك "اللقب الحوري"، "اللقب النبتي"، "اللقب النسوبيتي"، "لقب حورنب"(حور الذهبي)، "لقب سارع"، وهذه الألقاب لم تحصل عليها سيدة من قبلها، بالإضافة إلى النعوت الأخرى المعتادة، مثل "هازمة كل البلاد"، "غنيمة آمون"(صنيعة آمون)، إلا أن هناك نعتًا واحداً

1() زكية يوسف طبوزادة: المرجع السابق، ص56.
2() رمضان السيد: المرجع السابق, ص67.
3() زكية يوسف طبوزادة: المرجع السابق , ص57.
4() رمضان السيد: المرجع السابق,ص67-69.
(5) DELL Pamela , hatshepsus egypts first female pharaoh , capstone , usa2008 , p9.
(6) BAUM Margaux and THOMAS Susanna , leaders of the ancient world "Hatshepsut" , the rosen publishing group , usa2016 , p p51-52.

أحجمت حتشبسوت من وصف نفسها به وهو "الثور القوى" باعتبارها امرأة حتى لو كانت ملكاً[1].

قد قامت حتشبسوت إلى تقليد الرجال، فارتدت ملابسهم، ووضعت اللحية المستعارة، وكافة تيجان وشارات وعلامات الملوك، [2]وكانت تصر على أن تسمى "ملك" وليست "ملكة"، وأن يستخدم لها الضمائر المذكرة "هو" بدلًا من "هي" و"منه" بدلًا من "منها"، [3] وذلك لأن المصريين كانوا ينفرون إلى حد كبير من تولى امرأة العرش، فأرادت تقوية مركزها وإبطال أي معارضة في هذا الشأن، وإيهام الناس بأن التقاليد المتبعة لم يدخل عليها أي تغيير بتولي امرأة العرش[4].

يبدو أن الذي روّج لكل هذه الادعاءات في النصوص الرسمية هم مجموعة من النبلاء الذين كانوا يحيطون بها، وكان رئيس هذه المجموعة التي تعمل في الحقيقة من وراء ستار رجلًا يدعى "سنموت" الذي وصف على أنه أكبر الكبار في كل البلاد، ورئيس الرؤساء لكل الأقاليم، وكان أيضاً هو الذي يسمع ما لا يُسمع إلا في مجلس الأسرار، وهو الصديق الحقيقي للملكة، الذي يُستقبل في القصر بحب ويخرج بتكريم، وهو الذي يمتع قلب ملكته كل يوم، وهو في الواقع الذي أدار شئون البلاد وحافظ على سلطة حتشبسوت، وكان يتولى وظائف هامة، وكان يُوضع تحت تصرفه ثروة معبد الكرنك، وهو من قام بتربية الأميرة "نفرو رع" ابنة حتشبسوت، [5] ونجد أنه مثل تلك الأميرة وهي طفلة ويحملها بذراعيه على عدة تماثيل من تمثيله، وكان مشرفًا على كل المنشآت الملكية بطيبة وخاصة معبد الملكة في الدير البحري[6] .

ومن معاوني حتشبسوت "سيمن" شقيق "سنموت" وهو الذي أشرف على تربية ابنتها الثانية "مرت-رع" حتشبسوت ثم هناك "حابو سنب" ومن ألقابه الرئيس الكبير

1() محمد على سعد الله: ا لمرجع السابق,ص249.
Barbara O'Neill , Hatshepsut, king of Egypt ,p8. available on site: . https: //www.academia.edu/2223399/Hatshepsut.

2() عبدالعزيز صالح وأخرون: المرجع السابق,ص200.
3() رمضان السيد: المرجع السابق, ص69.
4() عبدالعزيز صالح: المرجع السابق, ص200.
(5)CALDECOTT Moyra , hatshpsut"daughter of amun , bladud books , england2004 , p32.
6() رمضان السيد: المرجع السابق, ص73.

لكهنة الشمال والجنوب الذي كان وزيراً ورئيسًا لكهنة آمون، وقد كان صاحب شخصية مهمة يسيطر على الشئون الدينية والدنيوية في نفس الوقت، ومن رجال حتشبسوت كان تحوت "حجوتى" وزير الخزانة، و"تحس" قائد الأسطول في حملة "بونت"، و "بوحى إن رع" ثاني كهان آمون، مدير أعمال الملكة، و"أمنو فيس" من كبار رجال الدين[1].

قد كان عصرها عصر سلام واستقرار بين عهدين اندلعت فيهم الحروب، تحاشت إرسال جنود الى الخارج، وسياستها الخارجية كانت مبنية على العلاقات السياسية والثقافية لا على القهر، وهذه السياسة أدَّت إلى تقدم ورفاهية داخلية في البلاد، ولكن كان لها تأثيرًا عكسي فقد أضعفت هذه السياسة من نفوذ مصر في غرب آسيا التي أخذ أمراؤها في تحطيم مصر هناك، واتخذوا من مدينه "قادش" [2] مركزًا لهذه المؤامرة[3].

قد قامت بعثة الملكة حتشبسوت إلى بلاد بونت والتي تعد من أشهر الرحلات التي تدل على علاقة مصر القديمة ببلاد شرق إفريقيا، وهذه البعثة أرسلتها الملكة حتشبسوت إلى بلاد بونت؛[4] لإحضار البخور والأشجار العطرية اللازمة للمعابد، بجانب الحصول على الأبنوس والعاج وجلود الحيوانات والصمغ والمر، والأخشاب من تلك البلاد، [5] وقد دُونت هذه الرحلة على ثلاث جدران على معبدها الشهير في الدير البحري[6].

اختفت حتشبسوت فجأة من مسرح التاريخ حتى مومياء هذه الملكة لم يعثر عليها وإن كان من المحقق أنها قد حفرت مقبرة لنفسها بجوار الدير البحري ولابد أن نهاية هذه الملكة العظيمة كانت محزنة، ولا نعرف إلى الآن إذا كانت ماتت ميتة طبيعية أو قُتلَت أو عُزلَت، وكما ذكرنا سابقاً كانت مقبرتها خالية من جثتها وإن كان قد عُثر بها على تابوت باسم تحتمس الأول، وتابوت آخر بجواره لحتشبسوت خالياً من الجثة أيضًا، وقد عمد

1() عبدالعزيز صالح: المرجع السابق,ص205-206.

(2) بسب طول فترة السلم التي عاشتها مصر في فترة حتشبسوت طمع أصحاب الميول الثورية لأنهم لم يشاهدوا جيش لمصر في مناطقهم طوال هذه الفترة لذلك قاموا بالثورة ظنا منهم أن مصر عاجزة عن حماية حدودها , ولكن بمجرد أن أستقل تحتمس الثالث بالحكم حتى أعد حملة عسكرية لتأدب أولئك الثوار الذين كانوا بزعامة أمير قادش وقد تجمع هؤلاء الثوار عند مدينة مجدو وبعدما سار تحتمس الثالث حوالي 11 يوم وصل إلى بلدة تسمي "يحم" وهناك كان أمام تحتمس الثالث 3 طرق للوصول إلى مجدو أحد هذه الطرق ضيق ولا يتسع إلا لعربة واحدة والطريقان الأخران متسعان لذلك عقد تحتمس الثالث مجلس حرب وفي ذلك المجلس تقرر أن يذهب من الطريق الضيق لكي يفاجئ الثوار وكانت هذه الخطة هي السبب في انتصاره علي الثوار في هذه المعركة التي كانت تعرف باسم "معركة مجدو" للمزيد من المعلومات حول معركة مجدو راجع. محمد أبو المحاسن عصفور: معالم تاريخ الشرق الأدني القديم , دار النهضة العربية , بيروت ,1987م, ص 166-168؛ عبد العزيز صالح: الشرق الأدني القديم في مصر والعراق ,مكتبة الأنجلو المصرية , القاهرة 2012م, ص229-231.

3() عبدالعزيز صالح: المرجع نفسه,ص200.

4() شوقى عطا الله الجمل وعبدالله عبدالرازق: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر, دار الزهراء ,الرياض2002م ,ص16.

5() جمال كمال محمود: البحر الأحمر فى الاستراتيجيات العثمانية"1517-1801",المركز العربى للأبحاث ودراسة السياسات ,بيروت2019, ص6.

6() رأفت غنيم: دراسات إفريقية فى التاريخ الحديث والمعاصر ,دار الكلمة,القاهرة2011, ص16.

تحتمس الثالث بعد وفاتها رغم أنه كان في أغلب الظن ابن أخيها ثم زوج ابنتها ثم شريكها في الحكم ثم خليفتها إلى تهشيم تماثيلها التي عثر على عشرات منها تماثيل واقفة أو راكعة تُقدِّم القرابين، أو على شكل أبو الهول مهشمة بجوار معبد الدير البحري، وقد أمكن جمع الكثير من أجزائها وترميمها وهي الآن في المتحف المصري ومتحف المترو بوليتان كذلك، عمد إلى تحطيم آثارها؛ إغفالًا "إخفاءً" لتاريخها، ومحو اسمها والتنكيل بأنصارها، وكان ذلك حقداً منه عليها، وقد جعلت منه أثناء مشاركتها في الحكم دمية ليس لها أي قيمة، لقد جعلت ذلك الملك الذي لعب _ بعد أن انفرد بالحكم _ دوراً خطيراً في دول الشرق، جعلته مغموراً لا حول ولا قوة، وقد لقيت حتشبسوت من حقد تحتمس الثالث بعد وفاتها وبعد أن أصبحت لا تستطيع الدفاع عن نفسها أضعاف ما لقيه أثناء حياتها، فقد كانت التماثيل ضرورية في حياة المصريين؛ ليحيى الإنسان حياة أخرى، فأراد أن يحرمها من تلك الحياة ومع ذلك فإن تلك الأعمال التخريبية التي تعد وصمة عار في جبينه لم توصله إلى شيء، فقد بقيت حتشبسوت _ رغم ذلك _ خالدة على مر الأيام والسنين[1].

المبحث الثاني: كليوباترا بين الأنوثة والسياسة

مولد أنثي:

كان العام (68 ق.م) هو العام الذي شهد فيه العالم ميلاد فتاة ذات جاذبية من نوع خاص، كما لها أنوثة طاغية تختلف تمامًا عن كل أقارنها وقد كان ميلاد هذه الفتاة في (البيت البطلمي)

ولكن يا ترى من كان والد هذه الأنثى؟

كان والد هذه الأنثى هو (بطليموس الثاني عشر) أو كما كان يلقب في ذلك الوقت بلقب "الزمار"، وسمى بالزمار نسبة لآلة "المزمار " الموسيقية، ولكن ما علاقة بطليموس الثاني عشر بهذه الآلة الموسيقية؛ لكي يتلقب باسمها؟

(1) عبدالعزيز صالح: المرجع السابق, ص206.

لقد كان بطليموس الثاني عشر عاشقًا ومحبًا للعزف على هذه الآلة، فكان الذين من حوله يطلقون عليه لقب "أوليتس " بمعني الزمار، ولكن هل كان لحب بطليموس الثاني لهذه الآلة واقع آخر في حياته؟

أثرت هذه الآلة على ذلك الرجل بأن جعلته محبًا للمجون والرقص والحفلات الموسيقية الماجنة، حيث كان يتلذذ بأن يأتي بالرجال في هذه الحفلات ويلبسهم ملابس النساء، ويجعلهم يقومون بحركات خليعة، هكذا كان الأب بطليموس الثاني عشر فمن تكون يا ترى الأم؟!

كانت أمها على عكس أبيها تماماً حيث كانت أمها هي الملكة "كليوباترا السادسة " فقد ورثت صفات كثيرة من أمها، ولم تكن كليوباترا السابعة هي الطفلة الوحيدة لأبويها ولكن كانت أكبر أبنائهم حيث كان لها ذكران آخران هما (بطليموس الثالث عشر وبطليموس الرابع عشر)[1]

نشأتها:

نشأت الأميرة كليوباترا في أسرة ملكية، واكتسبت صفات أهّلتها لتولي عرش مصر، [2] فقد وصفها "تارن" أعظم الأساتذة المتخصصين في العصر الهلنستي بأنها أعظم خلفاء الإسكندر[3].

كانت الاميرة كيلوبترا تتمتع بالذكاء وقوة الشخصية، وكانت أيضاً تتقن الكثير من اللغات حتى أنها لم تحتج إلى مترجمين في الأمور المتعلقة بالحكم وغيره أضف إلى ذلك أنها الملكة الوحيدة من ملوك البطالمة التي تعلمت اللغة المصرية القديمة [4] وجانب ذلك

1() حسين الشيخ: العصر الهلينستى" مصر", دار المعرفة الجامعية,الإسكندرية1993م,154ص.

(2) MORGAN Julian , leaders of ancient Egypt (Cleopatra"ruling in the shadow of rome") , the rosen publishing group , usa2002 , p8.

(3) الإسكندر: هو الإسكندر بن فليب المقدوني ولد في العقد السادس من القرن الرابع قبل الميلاد , تلقي تعليمة علي يد أرسطو تولي عرش مقدونيا وهو في العشرين من عمرة عام 336ق.م ,خاض مع الفرس عده معارك إلى أن أستطاع أن يدخل عاصمتهم سوسة عام 331ق.م,ثم نجح بعد ذلك في دخول مصر وأسس مدينة الإسكندرية بها وأهتم كثيرا بالسيطرة علي البحار فقد أرسل عدد من معاونيه البحريين لاستكشاف شواطئ الجزيرة العربية من ناحية الخليج أو من ناحية البحر الأحمر ,وفي عام 331ق.م ترك مصر وأتجه إلى بابل في العراق حيث توفي هناك علي أثر حمي قد أصابته في عم 323ق. م وكان عمرة 33عام. راجع.أبو سعيد المصري: الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي ,ج10,ب.ت,ص472؛لطفي عبد الوهاب: العرب في العصور القديمة,ط2,دار المعرفة الجامعية, الإسكندرية ,ب.ت,ص326.

(4) ROLLER Duane w. , Cleopatra a biography , oxford , england2010 , p15.

درايتها بالعلوم المختلفة، [1] وكانت أيضاً واسعة الحيلة، ولديها قدرة على اجتذاب الآخرين وهذا ما ظهر في العلاقات مع الملوك الرومان[2].

إرهاصات الحكم قبل تولي كليوباترا:

وصل بطليموس الثاني عشر "الزمار" إلى عرش مصر عن طريق الرشوة للرومان من أجل الاعتراف به كوريث شرعي على حكم مصر، ولكن لم يدم طويلاً في الحكم لأن عهده كان مليء بالاضطرابات والثورات وخاصة ثورة الإسكندريين؛ بسبب سياسة مسؤول المالية في مصر وهو أحد رجال المالية في روما الذي استدان منه بطليموس الثاني عشر فعينه تعويض له عن الاموال ولترضية الرومان وقامت ثورة الإسكندريين على رايبروس فهرب من مصر عام (51 ق. م)، وفي هذا العام مات المزمار، ولكن ترك قبل وفاته وصية بشأن الحكم[3].

وصيه الزمار: -

أوصى الزمار قبل وفاته بأن تتزوج كليوباترا السابعة من أخيها بطليموس الثالث عشر، ويحكما سوياً عرش مصر ويتولى تنفيذ هذه الوصية الرومان، وهذا يدل على مدى تدخل القوى الخارجية في سياسة مصر الداخلية، حيث أن روما بدأ تدخلها الفعلي في شؤون مصر منذ وفاة بطليموس التاسع "سوتير الثاني"[4] بعد أن كان تدخلها بطريقة غير مباشرة، وهكذا تولت كليوباترا العرش وأمور البلاد في إضراب وضعف[5].

(5) BLACKABY Susan , Cleopatra egypts last and greatest queen , sterling publishing , usa2009 , pp8-9.

2() أبو اليسر فرج: تاريخ مصر فى عصر البطالمة والرومان, عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية, القاهرة 2002 م , ص85.

3() أبو اليسر فرج: المرجع نفسه, ص78.

(4) بطلميوس التاسع : (سوتير الثاني) هو أحد أفراد البيت البطلمي حكم فى الفترة(116ق.م-101ق: م) له العديد من الإصلاحات فقد أمر بوضع حجر الأســـاس في معبد دندرة الذي أســـتمر العمل فيه قرابة 150 عام وأنتهي العمل منه في عهد الإمبراطور تراجان عام 117م ويقع هذا المعبد علي بعد 60كم شمال الأقصر وهو من أفضل المعابد حفظا في مصر بسب عوامل الرياح والتعرية.راجع. محمد حمدي: قاموس التواريخ "يوميات الأحداث الجداول الزمنية" ,ج1, المكتبة الأكاديمية ,الجيزة2014م,ص390.؛محمد علي: موسوعة أقاليم مصر الفرعونية "قنا –سوهاج", مكتبة جزيرة الورد, القاهرة2016م ,ص74-75.

5() فادية محمد أبو بكر: دراسات فى العصر الهلينستى ,دار المعرفة الجامعية الإسكندرية1998م, ص217 -218

سياسة كليوباترا في الحكم. من 51ق.م الى 30ق.م:

تولت كليوباترا العرش و عمرها 18 عاما[1]، بينما كان عمر شقيقها وزوجها وشريكها في العرش 10سنوات وبعد ثلاث سنوات ضاقت كليوباترا ذرعاً من تسلُّط رجال البلاط، [2] وأرادت أن تمارس السلطة بشكل مستقل مما أدى إلى إثارة قلق رجال القصر فأخذوا يحيكون الدسائس حولها، متهمين إياها بالتآمر على حياة شقيقها لكي تنفرد بالحكم، ونجحوا في إثارة شعب الإسكندرية ضدها مما دفعها إلى الهرب من الإسكندرية خوفاً على حياتها وتوجهت إلى الحدود الشرقية؛ لكي تجمع قوات تمكنها من العودة إلى العرش، وقد أقنع رجال البلاط ملكهم "بطليموس الثالث عشر" بضرورة التصدي لكليوباترا فزحف بقواته شرقاً ورابط بالقرب من بلوزيون [3] استعداداً للدخول في معركة فاصلة مع شقيقته[4].

إذا ما تركنا مصر وتوجهنا بأبصارنا إلى روما فإننا نجد أن المواجهة بين الحزب الجمهوري بقيادة "بومبي" والحزب الديمقراطي بقيادة "يوليوس قيصر" وصلت إلى ذروتها، وقد وقعت بين الطرفين معركة فاصلة في بلاد اليونان وهي معركة "فارسالوس في عام (48 ق.م) التي أحرز فيها قيصر نصراً باهراً على خصمه[5]

وفر بومبي إلى مصر يطلب معاونة صديقه "بطليموس الزمار" وحين علم بأمر الخلاف الواقع بين أبنائه توجه إلى الشرق؛ لكي يلتمس ضيافة "بطليموس الثالث عشر"، وعقد الأوصياء على الملك الصغير جلسه لبحث طلب بومبى، وعلى حد تعبير مؤلفات المؤرخ بلوتارخ يصف اللحظة الأخيرة من حياة بومبي بقدر كبير من التأثر فمجلس الأوصياء بعد مداولات كثيرة قرر التخلص من بومبي حتى لا يعطي ذلك لقيصر الحق في احتلال مصر، وإسناد المجلس إلى أخيلاس قائد الجيش البطلمي مهمة التخلص من بومبي، وتوجه أخيلاس في قارب مصطحباً معه ثلاثة آخرين لإحضار بومبي من سفينته

((4) JONES Prudence j. , Cleopatra the last pharaoh , haus publishing , england2006 , p25.
(1) ASHTON Sally ann , Cleopatra and egypt , john wiley and sons , england2009 , p72.
(3) بلوزيون: وهوأسم يوناني تم تعريبه ثم أصبحت تعرف باسم الفرما وهي حاليا العريش ,وهي أول مدن مصر من جهة الشمال ,يبلغ طولها من جهة المغرب 54درجة و40دقيقة وعرضها 31درجة ونصف.راجع. ياقوت الحموي: معجم البلدان,ط2, ج,4دار صادر ,بيروت 1995م,ص255؛تقي الدين المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار, ج1, دار الكتب العلمية , بيروت1418ه,ص391.
4() مصطفى العبادى: مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربى , مكتبة الأنجلو المصرية , القاهرة1999م, ص100.
(4) CARAVANTES Peggy , Cleopatra"powerful leader or ruthless pharaoh" , capstone , usa2015 , p10.

وعندما اقترب القارب من السفينة طلبوا منه النزول فاستجاب لهم وقبل زوجته وابنه وراح يردد أبيات من الشعر للشاعر "سوفكليس" يقول فيها إذا دخلت بيت طاغية أصبحت عبداً له، وإن جئت إليه حراً، وعندما وصل القارب الى الشاطئ همَّ بومبي بالنزول وأمسك بيد واحد من مرافقيه وفي هذه اللحظة عاجله الباقون بطعناتهم من الخلف، وقام القتلة بعد ذلك بقطع رأسه وألقوا جثته عارية على الشاطئ، وقد صادفت مرور جندي روماني بعد ذلك فقام بإحراقها حسب الطقوس الرومانية في يوم 2 أكتوبر من عام(48 ق.م)[1].

وصل يوليوس قيصر إلى الإسكندرية في اثر عدوه، وسارع رجال البلاط السكندري بعرض رأس بومبي وخاتمه على قيصر ظناً منهم أن هذا التصرف كفيل بأن يرضيه، ولكن قيصر حزن واغرورقت عيناه بالدموع عندما رأى رأس بومبى، وأخذ يوليوس قيصر يسير في شوارع الإسكندرية بشارات السلطات التي كان يتمتع بها بوصفه دكتاتوراً في روما وقد استفز هذا المشهد سكان الإسكندرية لأنهم ظنوا أن قيصر أتي من أجل ديون الرومان، ولكن كان قيصر يردد أنه جاء الى مصر؛ لكي ينفذ وصيه الزمار التي تقضي بوضع أبناء بطليموس تحت وصاية الرومان، [2] وقد أرسل قيصر استدعاء لكليوباترا وشقيقها وقد استجاب بطليموس الثالث عشر وحضر إلى الإسكندرية فإن كليوباترا خشيت على حياتها إذ اضطرت إلى الحضور متخفية بعد أن حملها أحد أعوانها في داخل سجادة، [3] و طلب مقابلة قيصر وعندما انفرد به فتح السجادة فخرجت كليوباترا التي استطاعت أن تؤثر على قيصر من اللحظة الأولى وتقنعه برأيها وهذ يدل على مدي الحنكة السياسية والقدرة على الكلام ناهيك عن جمالها الفاتن ومظهرها الجذاب، وعندما حضر شقيقها إلى القصر في اليوم التالي أحس بانحياز قيصر إلى كليوباترا فثارت ثائرته، وقامت ثورة عارمة قام بها الجماهير الموجودون حول القصر، وهنا أضحي موقف قيصر في حرج فخرج ليقرا عليهم وصية الزمار كنوع من التهدئة وامتصاص غضب الثوار، وإغراء الجماهير بإعادة قبرص إلى الممتلكات المصرية ولكن هل نجح الأمر ؟.

بالرغم من توفيق قيصر بين الأخوين إلا أن أوصياء الملك الصغير كانوا يوغرون صدره ضد أخته، وهذا أمر طبيعي بالنسبة لهؤلاء لأن الأمر لو آلَ إلى كليوباترا سوف تلقي

1() أبو اليسر فرج: المرجع السابق, ص78.
2() أبو اليسر فرج: المرجع السابق, ص79.
(3) KLEINER Diana e. e. ,Cleopatra and rome , Harvard university press , usa2005 , p3.

بهم عرض الحائط، فهي تحب الانفراد بالحكم فهي شخصية استقلالية لها أهداف وطموح أما بقاء الأمر لأخيها هذا يعطيهم فرصة للتدخل في شؤون الحكم وتحقيق مآربهم

ثار الإسكندريون ضد قيصر وجنوده فأصدر الأوامر إلى الجيش الذي كان مرابطًا عند الحدود الشرقية في بلوزيون بأن يذهب إلى الإسكندرية وتحرج موقف قيصر الذي حُوصر في الحي الملكي فاضطر إلى إحراق سفنه المرابطة على شواطئ البحر وتسبب هذا الأمر في إحراق مكتبة الاسكندرية[1].

تعتبر مكتبة الإسكندرية منهل العلم والعلوم في ذلك الوقت، والتي كانت تقع بالقرب من الميناء وكان تبرير فعل قيصر بحرق سفنه حتى لا يستولي عليها أعداؤه، فيحاصر براً وبحراً وبدأت الحرب المعروفة بحرب الإسكندرية، وكاد قيصر أن يلقى الهزيمة لولا إرسال الإمدادات إليه من قبل حلفائه في الشرق، وقد وقعت هذه الحرب في عام (47 ق.م) وانتهت بانتصار قيصر وموت بطليموس الثالث عشر غريقاً، وحسم قيصر مسالة العرش البطلمي بأن أعلن كليوباترا ملكة على البلاد على أن تتزوج من شقيقها الصبي الصغير بطليموس الرابع عشر[2]، وقضي قيصر شتاء عام (47ق.م) مستمتعاً بصحبة كليوبترا حيث أن القائد الروماني قيصر قد أعجب بالملكة وبجمالها وذكائها، وبذلك فهو قد ضمن قاعدة لروما في الشرق تحت حكم كليوباترا، وقضي قيصر رحلته النيلة مع كليوباترا، وقد كان لكل منهما أهدافه وطموحاته السياسية فهي أيضاً تريد أن تحكم الشرق ولكن لابد من قوة عسكرية تساندها، على أية حال رجع بعد ذلك قيصر إلى روما

(1) مكتبة الأسكندرية: قام بطلميوس الأول "سوتير"بتخطيط هذه المكتبة لكنة توفي في عام (284ق.م) قبل أن ينفذ هذة المكتبة علي أرض الواقع ولكن تبني أبنه بطلميوس الثاني هذه الفكرة وخصص لها أموال ضخمة لبنائها لأنه كان يهدف إلى جمع الأدب اليوناني فقام ببناء تلك المكتبة الضخمة التي كانت تنقسم في الأساس إلى قسمين كان يقع القسم الأكبر منها في القصر الملكي في حي البروكيوم وكانت تعرف باسم "المكتبة العظمي" أما القسم الثاني منها يقع في معبد السرابيوم وكانت تعرف باسم"المكتبة الصغري" ,ويقال أن المكتبة ككل كانت علي هيئة روضة مكشوفة يحيط بها رواق ذو أعمدة مكونة من طابقين ملحقة به أربع قاعات , وقد خصص الرواق للدراسة والمطالعة , أما القاعات الأخرى فكانت مخصصة لتكون مخزن للكتب , أما مدخل المكتبة فكانت تزينه عدد من التماثيل المختلفة لكبار الكتاب والأدباء , وقد تفاني البطالمة في جمع الكتب لهذه المكتبة حيث كانوا يعرضون مبالغ رهيبة علي السفن التي تحمل الكتب بمجرد وصول هذه السفن إلى ميناء مدينة الإسكندرية مقابل الحصول علي هذه الكتب , وقد قدر عدد لفائف البردي التي كانت توجد في مكتبة الإسكندرية بحوالي 700000 لفافة.راجع. جمال بدير: المدخل لدراسة علم المكتبات ومراكز المعلومات , دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع ,عمان 2007م ص27-28..

2() مصطفى العبادى: المرجع السابق ,ص100-103.

وترك لكليوباترا فرقة رومانية من ثلاث فرق عسكرية لمساندتها وفي صيف عام (47ق.م) أثمرت علاقة قيصر بكليوباترا بإنجاب ابن أطلق عليه بطليموس قيصر[1]

الإسكندريون قابلوا هذا الأمر بالسخرية وأطلقوا على الطفل اسم (قيصرون) استصغارا له، وهذا يدل على رفض الإسكندريين علاقة قيصر بكليوباترا وفي العام التالي أرسل قيصر إلى كليوباترا؛ لكي تلحق به فذهبت إلى روما ومعها بطليموس الرابع عشر وقيصرون ابنها من قيصر ونزلت في قصر يوليوس قيصر وحرصت على أن تحيط نفسها بمظاهر السمو والرفعة الشرقية مما أثار غضب الرومان الذين نظروا إليها باعتبارها محظية لقيصر وليست زوجته، لأن زوجته كانت على قيد الحياة وقد أثارت الحفاوة التي قابل بها يوليوس قيصر كليوباترا ثائرة الرومان فأخذوا بتأويل الأقاويل حول رغبة قيصر في إقامة مملكة على الطراز الشرقي ونقل عاصمة الإمبراطورية إلى الإسكندرية بدلاً من روما والحقيقة أن تصرفات قيصر و بعض أتباعه أدت إلى تعزيز تلك الأقاويل وكان الرومان يتأهبون للثأر من البارثيين في بلاد الفرس الذين قهروا جيش رومانيا وظهرت نبوءة مؤداها أن الرومان لن يهزموا البارثيين إلا إذا كانوا تحت قيادة ملك لذلك فقد تقدم قيصر باقتراح يقضي بمنح قيصر لقب ملك على الولايات حتى يتسنى له هزيمة البارثيين وتقرر عقد جلسه لمجلس السناتو لمناقشة هذا الاقتراح في يوم 15 مارس عام (44 ق.م) إلا أن أنصار النظام الجمهوري الذين نفذ صبرهم من تصرفات يوليوس قيصر الذي كان الذي كان يرمي في اعتقادهم إلى تقويض النظام الجمهوري قاموا باغتياله وهو يهم بدخول قاعة السناتو قبل الجلسة فتبخرت الآمال التي كانت تعقدها كليوباترا، ووجدت نفسها وحيدة في روما فلم يكن أمامها غير الفرار وعادت إلى مصر بعد هذه الأحداث مباشرة في أوائل شهر إبريل وبعد وصولها بفترة تخلصت من شقيقها بطليموس الرابع عشر وأشركت معها في الحكم ابنها قيصرون الذي ادعت إنها أنجبته من الإله آمون الذي تمثل لها في شخص قيصرون[2]، وهنا تظهر قضية التلاعب بالدين التي يستخدمها الكثير من الملوك؛ لتنويم الشعوب من أجل تحقيق الأهداف، وبهذا الادعاء أضفت كليوباترا صفة القداسة على ابنها حتى تتمكن من إشراكه معها في الحكم

(2) CHAUVEAU Michel , Egypt in the age of Cleopatra , translated LORTON DAVID , cornell university press , paris2000 , p25.

2() أبو اليسر فرج: المرجع السابق , ص81.

وقد رأينا كيف كانت نظرة الإسكندريين إلى قيصرون بالاستهزاء والاستحقار، بجانب أنها أرادت تحويل الحكم إلى وريثها ليبقي في نسلها فيما بعد ومن جهة أخري لاكتساب روما خاصة بعد مقتل قيصر حتى يتسنى لها الإشراف على أمور الحكم بوصايتها على ابنها، فهي امرأة ذكية واسعة الحيلة فأرادت أن تحكم بصفة دينية لتهدئة المصرين وبصفة سياسية لتهدئة روما[1]

سادت الفوضى في أعقاب مصرع قيصر وأصيب الناس بحالة من الوجوم إلا أن القنصل ماركوس أنطونيوس، تمكن من الإمساك بزمام الموقف وقرأ وصية قيصر على الملأ، وأهم ما ورد في هذه الوصية، إعلان قيصر أنه تبني أوكتافيوس حفيد شقيقته يوليا وأنه منحه اسمه. وثروته، وكان هذا الشاب الصغير في اليونان وعندما تم اغتيال قيصر على الفور شد الرحال إلى روما، وعندما وصل إلى روما قال إنه جاء إلى المدينة لكي ينتقم لقيصر وليس لكي يرثه وتجمع حوله أنصار قيصر وأخذت تتعالى بضرورة القصاص من القتلة وتحالف أنطونيوس مع أوكتافيوس ومضيا في تعقب القتلة وعلى رأسهم كاسيوس وبروتس وفي عام (42 ق.م) انتهت الحرب بين الطرفين وتحقق النصر لرجال قيصر في معركة فيليبي التي دارت رحاها في بلاد اليونان[2].

اقتسم كل من أنطونيوس وأوكتافيوس العالم الروماني فيما بينهم فتولى أنطونيوس الإشراف على الولايات الشرقية بينما كانت الولايات الغربية من نصيب أوكتافيوس أما إيطاليا فتم الاتفاق على أن تكون مفتوحة بين الإثنين و عندما توجه أنطونيوس إلى الشرق أرسل إلى بعض القادة؛ لكي يحضروا إليه لتوضيح موقفهم خلال الصراع بين قتلة قيصر وأنصاره ومنهم كليوباترا التي وقفت موقفاً متخاذلاً آنذاك فلم تمد يد المساعدة إلى قيصر بإرسال الفرق الرومانية التي كان قيصر تركها في مصر فلم تكن تريد أن تزج بنفسها في حرب لم يكن معروفاً من سيكون الرابح فيها، وذهبت كليوباترا إلى أنطونيوس في موكب تحدثت المصادر عنه بإسهاب عن فخامته، ونجحت

(1) في عام(600ق.م) اندمجت سبع مدن علي تلال في وسط إيطاليا علي الساحل الغربي وكونت مدينة روما , وفي عام (507ق.م) أطاحت مجموعة من أعضاء طبقة أعضاء مجلس الشيوخ بحاكم طاغية وأسسوا جمهورية روما , التي أستمرت إلى عام (31ق.م) وأثناء حكم الجمهورية كان كل المواطنين الذكور يتمتعون بحق الأنتخاب ولكن أصوات المواطنين الأثرياء كانت تحسب بقيمة أكبر من أصوات الفقراء وتدريجيا تزايد حكم أعضاء مجلس الشيوخ المؤرثين في الوقت الذي قننت فيه روما عدم المساواة , فكان أكبر أفراد العائلة سنا يتمتع بسلطان علي أفراد الأسرة. راجع. سينثيا ستوكس براون: تاريخ الأحداث الكبري من الأنفجار الكبير إلى الزمن الحاضر, ترجمة أيمن توفيق, المركز القومي للترجمة , القاهرة 2010م , ص188..

2()أبو اليسر فرج: المرجع نفسه,ص 82.

في التأثير على أنطونيوس وتقبل على الفور المبررات التي ساقتها أمامه ثم غادرة أفيسوس عائدة إلى الإسكندرية بعد أن وجهت إلى القائد الروماني دعوة لزيارتها في مصر و هي دعوة أتت على طبق من ذهب بالنسبة إلى نفس أنطونيوس وبعد أن فرغ أنطونيوس من تنظيم أحوال ولاية سوريا ذهب إلى الإسكندرية؛ لكي يبقى فيها شتاء عام (41 الى 40ق.م)[1]، وحتي ذلك الحين ظلت علاقته طيبة مع أوكتافيوس، ولكن في أثناء غياب أنطونيوس في الشرق تمكن أوكتافيوس من كشف مؤامرة ضده من تدبير زوجة أنطونيوس وشقيقه وسيطر الشك على نفس أوكتافيوس حول اشتراك أنطونيوس في هذه المؤامرة مما أدى إلى تدهور العلاقة بين القائدين وكادت الحرب تقع بينهم لولا المسائل التي بذلها أصدقاء الطرفين والتي تكللت بالنجاح وبخاصة بعد وفاة زوجة أنطونيوس وعقد الصلح بين الطرفين في عام (40 ق.م) وهو الذي يعرف بصلح "بريندیزي ومن أجل دعم هذا الصلح تم زواج أنطونيوس من أوكتافيا شقيقة أوكتافيوس ولكن العلاقة ما لبثت أن تدهورت بين القائدين مرة أخرى بسبب شك كل منهما في نوايا الأخرين.

الذي زاد الأمر تعقيداً هو أن أنطونيوس استأنف علاقته بكليوباترا وإعلانه الزواج منها واعترافه بالتوأم الذي أنجبهم منها أبناء شرعيين له و قطعت شوطاً أبعد في تحديها لأوكتافيوس حين أعلن ان قيصرون هو الابن الشرعي ليوليوس قيصر ومضي أنطونيوس في ارتكاب المزيد من الحماقات ومنها على سبيل المثال أنه في أعقاب النصر الذي أحرزه في أرمينيا في عام (34 ق.م) فخالف العرف الذي يقضي بإقامة مهرجان النصر في روما واحتفل في الإسكندرية وقام بتوزيع الولايات التي فتحها على كليوباترا وأبنائه، واصفاً إياها بالملكة أم الملوك كما أنه أهمل زوجته الوفية أوكتافيا من العوامل التي أفقدته حب الرومان الذين تساءلوا فيما بينهم كيف يفضل امرأة شرقية على أخت القائد العظيم أوكتافيوس فهم ينظرون إلى كليوباترا امرأة وصولية تنظر إلى مصلحتها أولا[2].

قام أوكتافيوس بالدعاية ضد أنطونيوس وتمكنت أوكتافيا من الحصول على صورة من وصية أنطونيوس تتضمن رغبته في أن يدفن في الإسكندرية بعد وفاته

1() مصطفى العبادى: المرجع السابق,105.
2() فادية محمد أبو بكر: المرجع السابق,ص223.

وقد زادت هذه الوصية من سخط الرومان على أنطونيوس واستعدادهم للحرب ضده لأنه في نظرهم أصبح مجرد أداه طيعة في يد امرأة أجنبية كانوا يرون فيها نموذجاً مجسداً للفجور، في ذلك الوقت كان أوكتافيوس يستعد للحرب وأخذت كليوباترا من ناحيتها تشجع أنطونيوس، وقد كان أوكتافيوس يركز في دعايته للحرب على القول بأنه لا يحارب أنطونيوس المواطن الروماني ولكنه يحارب كليوبترا الملكة الأجنبية، وأعد الطرفان عدتهم للمعركة الفاصلة، فوضع أنطونيوس خطواته في منطقه أكتيوم على الشواطئ الغربية لبلاد اليونان ونصح رجال أنطونيوس قائدهم بإبعاد كليوباترا عن الظهور في ميدان القتال وإرسالها إلى مصر غير أن كليوباترا كانت تخشى من نجاح أوكتافيا في التوفيق بين أنطونيوس وزوجها وشقيقها أوكتافيوس لذلك أصرت على البقاء، ولقد كان لظهور كليوباترا في الموقعة بهذا الشكل مدعاة الى تأكيد دعاية أوكتافيوس، مما كان له أثر كبير في خفض الروح المعنوية لدى جنود أنطونيوس وإلهاب مشاعر جنود أوكتافيوس من ناحية أخرى، وفي خريف عام (31 ق.م)[1]جرت أحداث موقعة أكتيوم حيث تلقى أنطونيوس هزيمة ثقيلة أما كليوباترا فقد أخذت أسطولها وهربت من ميدان القتال متجهة إلى مصر وعلى الفور ترك أنطونيوس جنوده في ميدان القتال وسار في إثرها

وأدي ذلك في النهاية إلى هزيمة كل من كليوباترا وأنطونيوس في معركة أكتيوم البحرية ودخول أوكتافيوس مصر وضمه إلى أملاك الشعب الروماني، فسارعت كليوباترا بالانتحار خوفًا من أن تساق في شوارع روما.

المبحث الثالث: شجرة الدر من الرق.....إلى الحكم

لم تكن هذه الفتاة التي ابتيعت في سوق الرقيق تعرف ما هو مصيرها وما ينتظرها بعد بيعها في هذا السوق[2]،

1()شارل ستيوبوس: تاريخ حضارات العالم "الحضارة الفرعونة-الآشوريون-البابليون-الفينيقيون-الفرس-اليونان-الرومان", ترجمة محمد كردى على, العالمية للكتب والنشر, الجيزة 2012 م ,ص208- 209.

2() المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك, ت: محمد عبد القادر عطا, ج1, دار الكتب العلمية , بيروت1997م , ص459 ؛قاسم عبده قاسم وعلى السيد على: الأيوبيون والمماليك التاريخ السياسى والعسكرى ,عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية,الجيزة2010,ص128.

حسن حظها

فلحسن حظ هذه الفتاة أن الذي اشتراها رجل ثرى سيتربع على عرش مصر فيما بعد وعلى عرش الدولة الأيوبية فيا ترى من هو هذا الرجل؟!

إنه "الصالح نجم الدين أيوب" الذي اشتراها في زمن أبيه[1]، ولكن ما هو أصل هذه الفتاة؟

يرجع أصل هذه الفتاة إلى أرمينيا أو تركيا فهي جارية جُلبت من أسواق الرقيق كما تجلب الرقيق، ولكن كان مصير هذه الفتاة أن تفلت من الرق فلم تقضى فيه إلا وقتاً قصيرًا، وقد حدث ذلك عندما اشتراها نجم الدين وقرر أن يتزوجها ويعتقها، ولما لا فقد وقع في حبها في فتاة ذكية وعلى قدر عال من الجمال، بالإضافة إلى كل ذلك أن لها طموح عالٍ وفطنة وحسن تدبير وتصرف في كل الأمور، كانت كل هذه المواصفات تتوافر في هذه الفتاة التي تدعى "شجرة الدر"[2].

وقوع نجم الدين في الحب:

استخدمت شجرة الدر سلاحها الخاص بعدما اشتراها الصالح نجم الدين أيوب[3]، وكان هذا السلاح هو أنوثتها الذي كان بالنسبة لها هو السلاح الفتاك الذي لم يستطع نجم الدين أن يقاومه فوقع في شباكها ونجحت خطتها التي كانت ترسمها لنفسها أن تكون زادت مكانة خاصة في قلب نجم الدين فكما وصفها المؤرخون في قولهم "سكرانة في خمرة التيه والعجب"[4]، ولم تكتفى بذلك فحسب بل قادها ذكاؤها إلى أن تفكر في أن تربط زوجها نجم الدين بطفل يكلل ذلك الحب، وقد نجحت في ذلك وأنجبت منه ذكراً أسمته خليل، ومنذ ذلك الوقت أصبحت أحب الألقاب إليها "أم الخليل"[5].

1() قطب الدين اليونيني: ذيل مرآه الزمان, تحقيق الحكومة الهندية , ط2, ج1, دار الكتاب الإسلامي, القاهرة1992م, ص 61. ؛

2() جلال الدين السيوطي: تاريخ الخلفاء , تحقيق حمدي الدمرداش , مكتبة نزار مصطفي الباز , مكة المكرمة 2004م, ص 328..

3() الصـــالح نجم الدين أيوب: هو أبو الفتوح نجم الدين أيوب إبن الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر إبن أيوب, تولى حكم مصـــر بعد أخيه العادل بعدما دخل فى صراع مع أخيه فقبض عليه وسجنه فى قلعة الجبل. للمزيد راجع. المقريزى: المرجع السابق , ص402.

4() أبو المحاسن: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي, ت: محمد محمد أمين , ج6, الهيئة المصرية العامة للكتاب , القاهرة , د.ت , ص 219. ؛ أبو المحاسـن: مورد اللطافة في من ولي السـلطنة والخلافة , تحقيق نبيل محمد عبد العزيز أحمد , ج2, دار الكتب المصـرية, القاهرة, د.ت, ص 21. خير الدين الزركلي: الأعلام , ط15, ج3, دار العلم للملايين, بيروت2002م, ص158. شـمس الدين الذهبي: تاريخ الإسـلام ووفيات المشـاهير والأعلام, تحقيق بشار عواد معروف, ج14, دار الغرب الإسلامي , بيروت 2003م , ص596. ؛ قاسم عبد قاسم وعلى السيد على: المرجع السابق ,ص128.

5() القلقشـندي: صـبح الأعشـي في صـناعة الإنشـاء، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت ب.ت، ص497. ؛ أحمد مختار العبادى: فى التاريخ الأيوبى والمملوكى, مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية2000 , ص114-115.

الصالح نجم الدين وشراء المماليك:

كان الصالح نجم الدين أيوب رجلًا عسكريًا ذا نظر ثاقب إلى أبعد الحدود وأهم ما يثبت ذلك أنه قام بشراء المماليك بكثرة، حيث ساهموا فيما بعد أن يكونوا دولة مستقلة للمماليك تحكم مصر والشام في وقت كانت فيه قوة المسلمين تعاني من الإجهاد والإرهاق ولم تستطيع المقاومة أمام قوة أعدائهم فالفضل يرجع إلى نجم الدين إذاً في زيادة عدد هؤلاء المماليك [1]، ولكن أين سيقيم هؤلاء المماليك الجدد؟

وقع اختيار نجم الدين ايوب على جزيرة في نهر النيل لكي يسكنهم فيها وهي إحدى ثلاث جزر في نهر النيل بين الجيزة والقاهرة ويطلق عليها "جزيرة الروضة"، ولذلك أطلق على هؤلاء المماليك اسم المماليك البحرية نسبة إلى إقامتهم في هذه الجزيرة [2].

لم تستفد شجرة الدر في ذلك الوقت من شراء نجم الدين للمماليك ولكن سوف تستفيد منهم لاحقاً عندما يلعبون دوراً كبيراً لإيصالها إلى الحكم، وذلك أمر لم تكن تتوقعه شجرة الدر بعد أن كانت جارية تباع وتشترى في سوق الرقيق، ستصبح ملكة متوجة على عرش مصر [3]

وفى وسط أحداث من الفرح والسرور التي تعيشها شجرة الدر مع نجم الدين أيوب، أصيب نجم الدين أيوب بالمرض، فوقفت شجرة الدر بجانبه وحفظت له الجميل بأنه رفعها من مرتبة الجواري إلى مرتبة الملكات، وفجأة توفى زوجها التي كانت تعتمد عليه في كل حياتها [4].

ظهور شخصية شجرة الدر وحسن تدبيرها:

ظهرت شخصية شجرة الدر عندما توفى زوجها نجم الدين أيوب، فقد أخفت خبر وفاة زوجها لأن البلاد كانت في حالة حرب واضطراب حيث كانت يهددها الصليبيون وذلك

1() إبراهيم الطرطوسي: تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك , ت: عبد الكريم محمد مطيع الحمداوى , ط2, ب.ت., ص 7.؛محمد سهيل طقوش: تاريخ الأيوبيين فى مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيرة"569-661هـ/1174-1263م",ط2, دار النفائس ,بيروت2008, ص392.

2() سامى بن عبدالله بن أحمد المعلوث: أطلس تاريخ العصر المملوكى, مكتبة العبيكان, الرياض2013م, ص16.

3() أحمد مختار العبادى: المرجع السابق، ص114,115.

4() صلاح الدين: فوات الوفيات , تحقيق: إحسان عباس , ج1, دار صادر, بيروت 1973م , ص231.

من حسن تدبيرها؛ لأنها كانت تخاف على حالة الجنود النفسية وعلى معنوياتهم من أن يعلموا أن ملكهم وقائدهم الأعلى قد مات[1]، فمن الذي سوف يقود البلاد؟!

ساهمت مثل هذه الظروف على ظهور شخصية تلك السيدة الذكية التي سارعت في وضع حلول لتلك المشكلة بحسن تدبيرها وإخفائها خبر وفاة زوجها، وقادت هي بنفسها دفة المعركة من خلف الستار ضد الصليبيين في معركة المنصورة[2]، ولم تكتفى بذلك فحسب بل أرسلت على ابن زوجها في الشام الذي كان يدعى "توران شاه"؛ [3] لكي يدير أمور المعركة ضد الصليبيين وقد نجح في إيقاع الهزيمة المنكرة بالصليبيين، ووقع قائد الصليبيين الملك "لويس التاسع"[4] في الأسر [5].

لم يكن توران شاه على قدر المسئولية التي ألقيت على عاتقه فبعد أن أتم اللّه انتصاره على الصليبيين كانت شجرة الدر زوجة أبيه تنتظر منه أن يعاملها معاملة حسنة لأنها حافظت له على أملاكه من الضياع ولكنه كان جافاً جداً في معاملته معها[6].

استخدام شجرة الدر سياسة الحيلة:

عامل توران شاه زوجة أبية "شجرة الدر" معاملة قاسية واتهمها بأنها أخفت ثروة أبيه، وطالبها بهذه الثروة وهددها ولكن شجرة الدر كانت أكثر ذكاء منه لأنها لم تقف مكتوفة الأيدي أمامه، فمهما وصلت من قوة شخصية إلا أن طبيعتها الخلقية ضعيفة

1() المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت 1418هـ، ص 407؛ أبو الفضل: سلك الدرر في في أعيان القرن الثاني عشر، ط3، ج3، دار البشائر الإسلامية، بيروت 1988، ص 193. الإشبيلي: رحلة بن خلدون، ت: محمد بن تاويت الطنجي، دار الكتب العلمية، بيروت 2004م، ص 248؛ محمد بن عبد الرازق كرد علي: خطط الشام، ط3، ج2، مكتبة النوري، دمشق 1983م، ص101. يعقوب شيخو: مجاني الأدب في حدائق العرب، ج6، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت 1913م، ص328.؛ على محمد الصلابى: السلطان سيف الدين قطز ومعركة عين جالوت فى عهد المماليك , دار الكتاب الثقافى,عمان2010م, ص73.

2() معركة المنصورة للمزيد من التفاصيل أنظر: محمد سهيل طقوش: المرجع السابق,ص387- 388.

(3) توران شاه: هو السلطان توران شاه بن الملك الصالح نجم الدين أيوب,وهو أخر ملوك الدولة الأيوبية في مصر ,جلس علي عرش مصر بعد وفاة أبية الملك صالح بحوالي 4شهور. أبو المحاسن: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة, ج6, دار الكتب المصرية ,القاهرة ب.ت,ص364. ؛ تقي الدين السبكي: طبقات الشافعية الكبرى , تحقيق: محمود محمد الطناحي – عبد الفتاح محمد الحلو , ط2 , ج8 , هجر للطباعة والنشر والتوزيع , الجيزة 1413ه , ص 245.

(4) لويس التاسع: أراد أن يشن حملة صليبيه علي مصر فجهز جيشه وتحرك من باريس عام (1248م) ونجح في النزول إلى ميناء دمياط عام(1249م)وكان معه جيش يقدر بحوالي 50 ألف مقاتل ولكن هزم في النهاية وأسر في دار بن قلمان حتى تم الأفراج عنه وعرفت هذه الحملة الصليبية في التاريخ باسم "الحملة الصليبية السابعة ".راجع.محمد سهيل طقوش: تاريخ الحروب الصليبية "حروب الفرنجة في المشرق", دار النفائس ,بيروت 2011م ,ص627-628. محمد غريب جودة: موجز تاريخ العالم بالسنوات والأحداث, مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع, القاهرة2000م, ص 10

5() وقع لويس التاسع فى الأسر وسجن فى دار فخر الدين إبن لقمان وعهد إلى الطواشى صبيح المعظمى بحراسته للمزيد: راجع.محمد سهيل طقوش ,ص 388.

6() سهيل طقوش: المرجع نفسه ,ص 389.

ولكنها استغلت ضعفها هذا بأن اشتكت إلى مماليك زوجها، وهم "المماليك البحرية "[1] فيا ترى سيقف هؤلاء المماليك مكتوفي الأيدي أمام إهانة زوجة أستاذهم؟!

نهاية التسرع

كان توران شاه رجلًا متسرعًا إلى أبعد الحدود فلم يكن رجلًا سياسيًا [2] لأنه لو كان رجلًا سياسيًا فعلًا لكان عامل "شجرة الدر " بكل لطف حتى يحصل على أملاكه منها لأنه مهما طال الوقت أو قصر ستذهب هذه الأملاك له لأنه هو الذي سيرث أباه "نجم الدين أيوب "، ولكن بسب تسرعه قد فتح على نفسه بابًا من أبواب الجحيم لن يستطيع أن يقفله، أضف إلى ذلك كله أن "شجره الدر" استخدمت أيضًا سلاحها الخاص وهو "سلاح القوة الناعمة " فقد اشتكت إلى مماليك زوجها من أفعاله معها ؛ فثار الدم في عروقهم عندما سمعوا ما حدث معها وعزموا على الانتقام لها وكان على رأس من تحرك من "المماليك البحرية " (فارس الدين أقطاي، قلاوون الصالحي، أيبك التركماني، بيبرس البندقداري) وقد تتبع "بيبرس " توران شاه عندما كان في "فارسكور " يحتفل بانتصاره على الصليبيين فاقتحم بيبرس خيمته وضربه بالسيف وتلقي توران شاه الضربة بيده فقطعت بعض أصابعه ؛ ثم هرب إلى برج خشبي كان قد أقامه على النيل لكي يقضي فيه بعض وقته لكي يحتمي به، ولكن أشعل فيه زملاء بيبرس النار ؛ فألقي بنفسه من البرج وقد اشتعلت ثيابه وهو يصيح ويستغيث ولكن لم ينجده أحد؛ فعرض على بيبرس وزملائه أن يتنازل عن العرش أن يعود إلى الشام ولكن بيبرس وثب عليه من الشاطئ وقتله بالسيف وبمقتل توران شاه انفردت شجره الدر بالسلطة[3]

1() محمد سهيل طقوش: المرجع نفسه , ص 390

2() كلمة سياسي مأخوذة من المصطلح الأنجليزي "policy" وهي مشتقة من الكلمة اليونانية "بولطيقي" وهو الاسم الذي أطلقه أرسطو علي كتابه المترجم إلى العربية باسم السياسة. للمزيد من المعلومات عن مصطلح السياسية راجع: قحطان الحمداني: المدخل إلى العلوم السياسية, دار الثقافة للنشر, عمان 2012م ص23 -24.

3() ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر , تحقيق خليل شحادة, ط2, ج5, دار الفكر , بيروت1988م, ص 417. ؛القلقشندي: مآثر الإنافة في معالم الخلافة , تحقيق عبد الستار محمد فراج, ط2, ج2, مطبعة حكومة الكويت , الكويت 1985م؛ المصري المالكي: توضيح المسالك والممالك بشرح ألفية بن مالك، تحقيق عبد الرحمن علي سليمان، ج1، دار الفكر العربي، 2008م، ص12.، ص93. ؛ محمد سهيل طقوش: المرجع السابق ,ص 390

استخدام شجره الدر سلاح القوة الناعمة:

بعد مقتل توران شاه حدث فراغ سياسي في حكم مصر وبذلك بقي كرسي الحكم فارغاً، فيا ترى من سيشغل ذلك الكرسي؟

وقع اختيار المماليك هذه المرة على أرملة "نجم الدين أيوب " وهي "شجرة الدر" فها قد تحقق حلم من أحلامها وهو الجلوس على العرش، ولكن هل سيصفو لها ذلك المنصب[1]؟

لم تكد شجرة الدر تصل إلى عرش مصر وتفرح بهذا الإنجاز حتى عكر صفوها شخص دمر كل أحلامها وطموحتها فهل كان هذا الشخص من المماليك أنفسهم؟ أم هل كان هذا الشخص من أتباع توران شاه والأيوبيين؟ لا هذا ولا ذاك بل كان شخص لا تستطيع شجرة الدر أن تخالفه في الرأي في الأمر، إذاً فمن هو ذلك الرجل ؟![2]

أنه الخليفة العباسي "المستعصم " فقد كتب إلى أمراء مصر يقول لهم: "إن كانت الرجال قد عدمت عندكم فأعلمونا حتى نسير إليكم رجلا " هكذا كان رد الخليفة العباسي على حكم شجرة الدر فهو بذلك يعتبرها غير جديرة بالحكم من الأساس، وبذلك وضعت شجرة الدر في مأزق، هل تكمل في الحكم وتخالف الخليفة العباسي وخصوصاً أنها قد ذاقت حلاوة الجلوس على ذلك الكرسي أم تتنازل عنه لشخص آخر يكون رجل؟[3]

جاء الحل سريعاً لتلك المشكلة حيث عرض بعض المماليك على شجرة الدر أن تتزوج الأمير "عز الدين أيبك[4] " وتتنازل له عن الحكم، فهل ستخضع شجرة الدر لهذا العرض

1() الشيزري: لباب الآداب، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط2، مكتبة السنة، القاهرة1987م، ص15 ؛ أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر, ج3, المطبعة الحسينية, القاهرة , د.ت, ص182. ؛ جلال الدين السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة , تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم , ج2, دار إحياء الكتب العربية , القاهرة 1967م , ص 36. ؛ العصامي المكي: سمط النجوم العوالى في أنباء الأوائل والتوالي , تحقيق عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض , ج4, دار الكتب العلمية , بيروت 1998م , ص 18 ؛ عبد الرحمن الجبرتي: تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار , ج1, دار الجليل , بيروت, د.ت , ص 28. ابن نجيم المصري: البحر الرائق شرح كنز القائق، ط2، ج7، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة د.ت، ص5. الغزي: نهر الذهب في تاريخ حلب، ط2، ج3، دار القلم، دمشق 1419ه، ص 130.؛ عبد الحميد الصنهاجي: تفسير ابن باديس، ت: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت 1995م، ص274.

2() علي محافظة: شخصيات من التاريخ "سيرة وتراجم" , المؤسسة العربية للدراسات والنشر , بيروت 2009م ,ص 22-25.

3() أحمد مختار العبادي: المرجع السابق , ص 119

(4) ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي, ج2, دار الكتب العلمية, بيروت 1996م, ص180. ؛ ابن كثير: البداية والنهاية , ت: علي شيري, ج13, دار إحياء التراث العربي , بيروت 1988م, ص206. ؛ الصفدي: الوافي بالوفيات , ت: أحمد الأرناؤوط – تركي مصطفي , ج9, دار إحياء التترث , بيروت 2000م , ص 263. الديار بكري: تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، ج2، دار صادر، بيروت ب.ت، ص 387.؛ أبو البقاء الهاشمي: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، ت: محمود عبد الرحمن قدح، ج1، مكتبة العبيكان، الرياض 1998م، ص17.

الذي سيحرمها من الحكم ومن ممارسة سلطتها؟ جاءت المفاجأة للجميع عندما وافقت شجرة بذلك العرض لأنها أدركت أنها ستحكم عن طريق التحكم في أيبك وأظهرت لهم الاستكانة والرضا، وقبلت بذلك العرض بعد أن حكمت مصر منفردة قرابة" ثلاثة شهور" وبعد زواج أيبك من شجرة الدر تلقب باللقب "السلطاني المعز أيبك "[1] وباستكانة شجرة الدر ورضائها بأن يذهب الحكم إلى أيبك قد استخدمت سلاح القوة الناعمة للمرة الثانية لأنها تعلم أنها هي التي ستحكم فعلًا وليس أيبك.

غيرة.....قاتلة

بعدما تولي أيبك الحكم كانت أمامه مشكلة كبرى وهي كيف يحكم منفردًا لأن شجرة الدر كانت تحتفظ بالسلطة وتتحكم في جميع شئون البلاد، حيث كانت دائماً ما تعاير أيبك بأنها هي من جعلته ملكا على العرش وقد وصف ذلك " ابن العميد" حين قال إنها كانت تمن عليه بأنها هي التي ملكته مصر وأعطته الأموال. ولم تقف شجرة الدر عن ذلك الحد بل وصل الأمر إلى أن تتحكم في حياة أيبك الشخصية ومنعته من زيارة زوجته الأولي " أم على " وأمرته بطلاقها [2]

بدأ عز الدين أيبك يتراسل سراً مع حاكم الموصل "بدر الدين لؤلؤ " ولكنه طلب منه طلب غريب فماذا طلب منه؟

طلب منه أن يخطب ابنته ولكن سراً حتى لا تعلم شجرة الدر بتلك الخطبة ولكن حدث ما لا يحمد عقباه! فقد علمت شجرة الدر بتلك المراسلات بالصدفة [3].

استخدام شجرة الدر سياسة القوة الناعمة للمرة الثالثة:

قررت شجرة الدر التآمر على زوجها عن طريق استخدام سياستها الناعمة كالعادة فقد أرسلت إلى " الناصر يوسف الأيوبي " في بلاد الشام، وأرسلت له هدية، وأعلنت له

1() محمد سهيل طقوش: المرجع السابق , ص 394.
2() ليلي عبد الجواد إسماعيل: تاريخ الأيوبين والمماليك في مصر والشام , دار الثقافة العربية , القاهرة, ب.ت , ص 132.
3() أبو الفلاح: شذرات الذهب في أخبار من ذهب , ت: محمود الأرناؤوط , ج7, دار ابن كثير , دمشق 1986م , ص 462.

عن مخططها أنها تريد أن تقتل أيبك [1]وتريد الزواج منه، ولكن يا ترى هل سيوافق " الناصر محمد" بهذا العرض السخي؟ فهو بذلك سيمتلك مصر والشام ويعيد أمجاد الأيوبيين!

جاء رد "الناصر يوسف " مخالفًا لكل التوقعات فلم يقبل بهذا العرض وخلف آمال " شجرة الدر " لأنه كان يعتقد أنها خدعة من شجرة الدر فلم يرد عليها بشيء [2] فها قد سد "الناصر يوسف" الطريق أمام شجرة الدر، فكيف ستجد حل لهذه المشكلة؟ لقد فكرت في إيجاد حل جذري لهذه المشكلة عن طريق التخلص من أيبك فدبرت له مؤامرة لقتله.

والسؤال هنا هل كان "عز الدين أيبك " يعلم بالمؤامرات التي كانت تحيكها شجرة الدر لتتخلص منه؟

نعم، كان يعلم فقد أرسل له صاحب الموصل "بدر الدين لؤلؤ" الذي كان يريد أن يخطب ابنته يحذره من شجرة الدر بأنها أرسلت رسالة إلى "الناصر محمد" تتآمر عليه فيها وقال له "أن وراء قتلك سيكون أمراه " فهل سمع أيبك تحذير صاحب الموصل؟ نعم، سمع بتحذير صاحب الموصل وترك القلعة خوفاً من مؤامرات شجرة الدر ضده [3]

قد زاد ذلك الأمر من قلق نجم الدين واستشار المنجمين فأخبروه أنه سيقتل على يد امرأة، ولكن كيف تصرفت شجرة الدر في هذا الموضوع؟ لقد استخدمت سياستها التي اعتادت أن تلجأ إليها وهي سياسة القوة الناعمة وستكون هذه هي المرة الأخيرة التي سوف تستخدمها!

أرسلت شجرة الدر إلى أيبك رسالة رقيقة تتلطف به وتدعوه بالحضور إليها بالقلعة فانخدع أيبك واستجاب لدعوتها وصعد إلى القصر السلطاني بالقلعة، وقد أعدت له شجرة الدر خمسة من الغلمان الأشداء لاغتياله [4] وجاءت الفرصة لشجرة الدر عندما دخل أيبك الحمام ليغتسل، فأدخلت عليه شجرة الدر الغلمان الخمسة الذين أعدتهم لقتله

1() للمزيد من المعلومات عن فترة حكم أيبك راجع , إيناس محمد البهيجي: تاريخ المغول وغزو الدولة الإسـلامية , مركز الكتاب الأكايمي للنشـر , عمان 2017 م ص 349 - 362.

2() ليلي عبد الجواد إسماعيل: المرجع السابق , ص 132.

3() ليلي عبد الجواد إسماعيل: المرجع نفسه , ص 132.

4() ابن خلدون: العبر، ج5، ص434؛ أحمد مختار العبادي: المرجع السابق , ص 133.

وشاركت شجرة الدر في تنفيذ هذه المؤامرة فقامت بضربه بالقبقاب وهو يستغيث حتى مات [1].

الجزاء من جنس العمل

حافظت شجرة الدر على مصر من الضياع ولكن ذلك لن يغفر لها ما فعلته في زوجها أيبك. وهل ستفلت شجرة الدر بما فعلته في زوجها عز الدين أيبك؟

أشاعت شجرة الدر أن زوجها أيبك قد توفي فجأة بالليل؛ ولكن مماليك أيبك دخلوا القلعة وعاقبوا الخدم الذين شاركوا في قتل أيبك وقاموا بالقبض على شجرة الدر بعد أن اعترف الخدم بمؤامراتها وعزم مماليك أيبك أن يقتلوها ولكن مماليك "الصالح نجم الدين أيوب " قاموا بحمايتها ولكن زوجة أيبك الأولي "أم على " لم تغفر لشجرة الدر أنها قتلت زوجها أيبك، فيا ترى ماذا فعلت؟

دبرت أم على مؤامرة لقتل شجرة الدر بنفس الطريقة التي قتلت بها شجرة الدر أيبك؛ حيث أمرت الجواري بأن يضربوا شجرة الدر بالقباقيب إلى أن ماتت وألقوا بجثتها من فوق سور القلعة من ناحية باب القرافة [2].

وبذلك ماتت شجرة الدر بنفس الطريقة التي قتلت بها أيبك، وبذلك يكون الجزاء من جنس العمل.

1() أبو الفداء: المختصر، ج3، ص192؛ ليلي عبد الجواد إسماعيل: المرجع السابق , ص 133.
2() أبو الفداء اسماعيل: البداية والنهاية، ج 13، ص232؛ أبو المحاسن يوسف: النجوم الزاهرة، ج6، ص378؛ ليلى عبد الجواد إسماعيل: المرجع السابق,ص133.

المبحث الرابع: زنوبيا ملكة تدمر

حكمت زنوبيا مملكة تدمر [1]، سيدة من شهريات نساء العرب وأجلهن خلقاً وأحزمهن أمراً، وأوسعهن إدراكًا، وأكثرهن مقدرةً ومهارةً، وأبعدهن نظراً.

وصفها المؤرخ الروماني تربيلوس بأنها أجمل امرأة عرفها التاريخ فهي سمراء اللون واسعة العينين امرأة أسنانها كاللؤلؤ، وجسمها ممشوق في قوة، وكانت تلبس العمامة كالرجال وخوذتها المرصعة بالدر والياقوت، واستطاعت تلك المرأة أن تناطح أعظم قوتين في هذا الزمان ألا وهما الفرس والروم، واستطاعت كسر شوكة الروم والانتصار عليهم، واقتلاع أجزاء من أراضيهم وضمها إلى أملاكها [2].

نسبها:

اختلف المؤرخون في تحديد نسبها البعض ذكر أنها ابنة زعيم عربي وهو "عمر بن ضارب بن حسان"، والبعض ذكر أنها من نسل "سليمان الحكيم" [3]، والبعض ذكر أنها من نسل كليوباترا أي أن أصلها مقدوني، وبعض المؤرخين أمثال أيشهورن يذكرون أنها من نسل العماليق، والمؤرخ اليهودي يوسفيوس [4] يرجع نسبها إلى هيرودوتس ويقول إنها يهودية الدين، وذكر المؤرخ المسعودي أنها رومية تتحدث العربية، ولكن أكثر آراء المؤرخين هي التي تقول إن أصلها عربي [5].

1() هى مدينة فى قلب الصحراء السورية شرق حمص اشتهرت بعروس الصحراء ,تحيط بها تلال كلسيه ,كانت على طريق القوافل التجارية, وهي عاصمة دولة عربية ازدهرت قديماً, وبلغت أوج قوتها مع أذينه وزوجته زنوبيا, فتحها خالد بن الوليد سنة633م, للمزيد راجع. زينب فواز: ا لدر المنشور فى طبقات ربات الخضور, مؤسسة هنداوى,القاهرة2014م, ص391.

2() يحيى وهيب الجبورى: النساء الحاكمات من الجوار ى والملكات, دار مجدلاوى,عمان2010,ص27.

3() يحيى وهيب الجبورى: المرجع نفسه,ص27

4() يوسفيوس: هو مؤرخ يهودي ولد في أورشليم عام 37م وتوفي في روما عام 98م أو 100م,أشترك في ثورة ضد الرومان أنتهت بأسرة إلا أن القائد الروماني فسباسيان ,وفي روما كتب كتبه المعروفه وهي "آثار اليهود" -"الحروب اليهودية" وهو في سبعة أجزاء باللغة الآرامية ثم ترجم إلى اليونانية ,"تاريخ اليهود القديم",وهو في عشرين جزء منذ بدء الخليقة وحتي عام 66م.راجع.محمد بيومي مهران: دراسات في تاريخ العرب القديم,ط2,دار المعرفة الجامعية ,الإسكندرية ب.ت,ص27-28.

5() جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام,ج3, دار العلم للملايين,بيروت1969م ,112.

ثقافتها:

كانت الملكة زنوبيا امرأة مثقفة، ولديها معرفة ببعض العلوم مثل علم التاريخ، حيث أنها قرأت تاريخ الشرق الأدنى وتاريخ الرومان وكانت على معرفة بأهم لغات عصرها مثل القبطية واليونانية واللاتينية والأرمية وكان بلاطها مليء بالفلاسفة أمثال الفيلسوف الشهير كاسيوس ديونيسيوس والمؤرخين والكتاب، أمثال كليركراتس الصوري والمؤرخ الدمشقي[1].

سياستها الداخلية:

حمت تلك المرأة بالعدل بين راعيتها، وسارت فيهم سيرة حكيمة وحازمة في تنفيذ القوانين، فهي تتحكم بعقلها لا بقلبها، وكانت تعطف على الأمراء والشعراء وتمنحهم العطايا وتستقدمهم من البلاد[2].

زواجها:

كانت متزوجة من أوديناتوس سبتيموس الذي يلقب بملك الملوك وهذا الرجل معروف بسيد الشرق الروماني، وقد امتد سلطانه إلى ما بعد سوريا، ولما توفي خلفته على العرش واصية على ابنها[3]، وفي تلك الفترة انتهز جالينوس الإمبراطور الروماني الفرصة لإخضاع تلك المملكة فأرسل إليها جيشا جراراً ولكن بدون جدوى حيث أن استطاعت تلك الملكة بحسن قيادتها وتصرفها قتال الرومان وهزيمة جيش جالينوس هزيمة ساحقة[4].

سياستها التوسعية:

شرعت زنوبيا في توسيع رقعة دولتها ولكن بداية الأمر عمدت إلى تحصين الجبهة

1() يحيى وهيب الجبورى: المرجع السابق, ص28.

2() يحيى وهيب الجبورى: المرجع نفسه,ص28.

(4) STONEMAN Richard , palmyra and its empire"zenobias revolt against rome" , university of Michigan press , usa1992 , p18.

4()يحيى وهيب الجبورى: المرجع نفسه, ص29.

الفارسية، فأنشأت حصن على نهر الفرات لصد الهجمات الفارسية وسمي الحصن باسم "حصن زنوبيا"

الطموح نحو مصر:

أرادت زنوبيا ضرب الرومان في معقلهم الاقتصادي والمكان المسيطر على الطرق التجارية[1]، وتوجهت أنظارها نحو مصر فأخذت تتحين الفرصة لتنفيذ مخططها من حيث ضم مصر إلى أملاكها، فأخذت بالدعوة والترويج في مصر أنها من سلالة الملكة كليوباترا وأنها منقذة لشعب مصر من الرومانيين واعتمدت في ترويجها لذلك على التجار لكسب التأييد المصري لها [2].

استغلت خروج بروبوس بأسطوله في البحر المتوسط لمطاردة القوط فأرسلت قائدها زبداً بجيش قوامه سبعون ألف مقاتل [3]كما هيأ لها في داخل مصر الأمر رجلان أحدهم " فيرموس" أحد أثرياء مصر و"تيماجينيس" رجل يوناني يبغض الحكم الروماني، ودارت معركة بين الجيش الروماني وجيش زنوبيا، وهزم الجيش الروماني واستطاع القائد زبداً دخول مصر وترك بها حامية مكونة من خمسة آلاف رجل تحت إمرة "تيماجينيس" الذي عين نائب للملكة في مصر، فعاد القائد الروماني "بروبوس" مسرعاً لاسترداد مصر واستطاع تكوين جيش من المصريين الموالين للرومان وتعقب التدمريين وأعم فيهم السيف وقد وصل الأمر إلى الملكة فأرسلت على الفور قائدها زبداً واستطاع حسم الأمر وانتصر على "بروبوس" عند "بابلون" وأعيدت مصر لزنوبيا مرة أخري[4].

جرت المفاوضات بين الاثنين بحكم ثنائي على مصر وظل هذا الأمر حتى أوائل حكم أورليانوس[5] والدليل على هذا تم العثور على عملات نقدية في الإسكندرية يرجع عصره إلى عام (270- 271م) على إحدى وجهها صورة مزدوجة "لأورليانوس" مع

1() سار نابليون بونابرت فى أواخر القرن الثامن عشر على خطى الملكة زنوبيا فأحتل مصر لضرب قوى بريطانيا الاقتصادية والسياسية ,وقطع الطريق التجارى لها فى بلاد الهند ,فيما عرف حديثا بالحملة الفرنسية على مصر, للمزيد راجع. محمد سهيل طقوس: تاريخ العرب قبل الإسلام , دار النفائس, بيروت2009م,ص375.

2() جواد على: المرجع السابق,ص113.

(4) CLARE Israel smith , ancient greece and rome , unrivaled publishing company , usa1889 , pp1103-1104.

4() جواد على: المرجع السابق,ص114.

5()الإمبراطور أورليان هو إمبراطور رومانى حكم من (275-270)م للمزيد راجع.زينب فواز: المرجع السابق,ص391.

"وهبلات" [1]، ولم يدم الاتفاق كثيراً بين الملكة والإمبراطور بسبب الضغوط الرومانية عليه، فقرر استرداد مصر ولكن عيون الملكة وجواسيسها نقلوا لها الأمر وعلى الفور ألغت الاتفاقيات وجعلت مصر تابع لها[2].

تراسلت زنوبيا مع ملكة "الغال" "فيكتوريا" لضرب الروم واقتسام أراضيهم وبالفعل تقدمت زنوبيا حتى وصلت إلى "خلقدونيا" واضطرت لتنفيذ مخططها وسحبت الجيوش من مصر، واعتمدت في مصر على دفاع المصريين نفسهم إذا حدث هجوم من الروم، ولقد أخطأت في تقدير ذلك حيث أن مصر يوجد بها من هم موالون للرومان وعلي الفور استغل الإمبراطور هذا الأمر وأرسل "بروبوس" إلى مصر واستطاع هزيمة زبداً عام (271م) وأخذت الهزائم تتوالي عليها وبدأ الرومان في استرداد أراضيهم حتى وصلوا إلى أنطاكيا فشاعت الإشاعات بسقوط تدمر، ولكن الملكة لم تلتفت إلى هذا وتهيأت لملاقاة جيوش الروم عند أنطاكيا، ولكن الخداع الرومي والحيلة دارت الدائرة عليها على الرغم من تقدمها في المعركة في بادئ الأمر ولكن استخدم الروم سياسة الدفاع بالعمق[3] واستدراج التدمريين داخل الأراضي البعيدة وتشتيتهم، وهزمت جيوش زنوبيا فقررت العودة إلى تدمر هنا أدرك الإمبراطور أن القضاء الحقيقي عليها القبض على تلك المرأة حتى لا يحدث ما حدث مرة أخرى[4]، وعلي الفور وجهت الجيوش الرومانية إلى حصار تدمر[5] ورأي الروم دفاع شديد من التدمريين وبعثت زنوبيا إلى حلفائها من الأرمن والفرس والقبائل العربية لنجدتها وأصبحت في محل دفاع ولكنها لم تنعم بمساعدة أحد فالجميع يبحث عن مصالحه الخاصة وينتظر لمن تكون الغلبة ليوالوه، وأرادت الملكة إنقاذ الأمر فتسللت من حصنها قاصدةً بلاد الفرس لطلب النجدة[6] ولكن الخيانة تهدم المخططات، حيث علم الرومان عن طريق الخونة فتتبعوها واستطاعوا القبض عليها وأُخذت أسيرةً

1()جواد على: المرجع السابق,ص115.

2() جواد على: المرجع نفسه,ص116.

3()هى نظرية استراتيجية عسكرية أستخدمها الرومان فى العصور القديمة وظهرت هذه النظرية فى العصر الحديث على يد العالم هالفورد ماكندر واستخدمتها روسيا ضد ألمانيا فى الحربين العالميتين الاولى والثانية, للمزيد راجع. محمد أحمد عقله المومونى: استراتيجيات سياسة القوة" مقومات الدولة فى الجغرافيه السياسة, دار الكتاب الثقافى ,الأردن ب ت,ص27.

4() محمد سهيل طقوش: المرجع السابق,ص77,78.

(2) WARE William , zenobia or the fall of palmyra , john b. alden , usa1887 , p106.

(3) SELLARS Ian j. , the monetary system of the romans"a description of the roman coinage from early times to the reform of anastasius" , ian j. sellars , usa2013 , p357.

بين يدي الإمبراطور وعاد بها إلى روما[1].

ولكن ما الجزاء الذي سوف تتلقاه هذه الملكة العنيدة من خصومها؟

اختلفت الروايات في أمر زنوبيا.

الرواية الأولي العربية:

أنها أرادت الانتقام لمقتل أبيها من جزيمة الأبرش واستطاعت عن طريق المكر والخديعة قتله ولكن خليفة جزيمة "عمر بن عدي" أراد أخذ دمه من هذه الملكة باستخدام نفس السياسة ألا وهي المكر والخديعة وتسلل إلى رجل من أدهي رجال عصره ومن رجال جزيمة والذي كان حذره من الذهاب إلى زنوبيا، وذهب إليها ذلك الرجل وهو "قصير بن سعد اللخمي" وادعي أنه هرب من "عمر" فقبلته وأكرمته وكانت خديعة قصير لها بإغرائها بالأموال والثروات والذهب الذي جلبه من العراق فطلبت منه المزيد من تلك الأموال فوثقت به ولكن لم تدري أنه مخطط وفي المرة الأخيرة اتفق مع عمر بن عدي فرحل معه في الركب هو ورجاله ودخلوا المدينة وعاثوا فيها قتل ولما أحست بالأمر ذهبت إلى نفقها لتنجي حياتها ولكن فوجئت بوجود عمر بن عدي على الباب وتجرعت السم الذي في خاتمها وقالت بيدي لا بيدي عمر ولكن ضربها عمر بالسيف وقتلها، وقام بنهب المدينة وسبي أهلها وعاد إلى بلاده[2].

الرواية الثانية:

أسرها على يد الروم بعد الحروب الدامية بينهم واستطاعت الروم حصارها وأخذها أسيرة إلى بلادهم وتم عرضها أمام الشعب الروماني الذي انبهر بتلك المرأة التي فزعت روما[3]، ولكن اختلفت الروايات حيث قيل إنها ماتت جوعاً حتى لا تري مصيرها، وقيل إن

1() إدوارد جيبون: اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها,ج1,ط2,ترجمة.محمد على أبو ورده, الهيئة المصرية العامة للكتاب,القاهرة 1997م ,ص194.

2() عبدالعزيز إلياس الحمدانى وعلى شحيلات: مختصر تاريخ العراق "تاريخ العراق القديم-عصر الإحتلال (539ق.م-639ب.م), ج5، دار الكتب العلمية , بيروت2012 ,

(2) KENT s. h. , gath to the cedars"experiences of travel in the holy land palmyra" , f. wama , england1875 , p283.

الإمبراطور وهبها دار تليق بها عاشت فيها، وزوجت بناتها من أشرف العائلات الرومانية وصار ابنها الأصغر حاكم على جزء من أرمينيا[1].

في النهاية:

لم يُعرف عاماً محدداً لوفاة تلك المرأة ولكن بعض المؤرخين قدروا أنها توفيت سنة (358) قبل هجرة النبي صلى اللّه عليه وسلم[2].

1() يحيى وهيب الجبورى: المرجع السابق,ص32.

2() يحيى وهيب الجبورى: المرجع نفسه,ص32. ؛ إدوار جيبون: اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ص 189- 201.